المكتبة الجامعية

الشباب المسلم والحضارة الغربية

حسن حسن سليمان





الشباب المسلم والحضارة الغربية



2008 م 1429 هـ





الشباب المسلم والحضارة الغربية

تأليف

حسن حسن سليمان




دار ومكتبة الهلال
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

ISBN 9953 - 75 - 357 - 1



الإهداء

إلى أم أولادي
رَفيقَة رحْلة العُمر
وَشريكة الحيـاة

حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
مكتب الرئيس

الرقم: ١٢٩٧
التاريخ: ١١/٦/١٤٠٥هـ
التوابع:
الموضوع:

المكرم مدير التعليم بمنطقة عرعر المحترم

بعد التحية :-

اطلعت بسرور على البحث القيم الذى أعده الاستاذ / حسن حسن سليمان المدرس لديكم بمنطقة عرعر بمناسبة السنة الدولية للشباب لعام ١٩٨٥م بعنوان ((الشباب المسلم والحضارة الغربية)) والذى وردني رفق خطابكم رقم ١/٥٠٢٩ وتاريخ ١٤٠٥/٦/٨هـ ..

وانني اذ أشكركم على اهتمامكم لأقدر الجهد المبذول والمستوى الرفيع الذى ظهر به هذا البحث المفيد ماده واخراجا مع تمنياتي الطيبة للجميع بدوام التوفيق والسداد ..

ولكم خالص تحياتي ،،،

الرئيس العام لرعاية الشباب

فيصل بن فهد بن عبد العزيز

ع ٠ ع

مقدمة

الحمد لله ﴿الذي علم بالقلم، علم الأنسان ما لم يعلم﴾. والصلاة والسلام على رسول الله، الذي بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً إلى جميع الشعوب والأمم.

وبعد: فقد دأبت إدارة التعليم في منطقة عرعر على ان تقيم في كل عام مسابقة في البحوث الإسلامية بين المدرسين، فتحدد موضوعين يختار الباحث أحدهما للكتابة فيه. وكان أحد الموضوعين هذا العام «الآثار السلبية للحضارة الغربية على الشباب المسلم ووسائل الوقاية منها».

وقد اخترت هذا الموضوع للكتابة فيه، لكونه من موضوعات الساعة، ولأنه يطرح للبحث مشكلة هي من أكثر المشكلات أهمية وخطورة وإلحاحاً، ولأن هذا العام بالذات هو العام الدولي للشباب.

وخلال مراحل البحث شغلني الموضوع فاستغرقت فيه، ولم ألتفت الى حجمه المعتاد في مثل هذه المسابقات، حتى إذا ما استوى في شكله النهائي كان كتاباً. لم تكن تهمني المسابقة بقدر ما كان يهمني أن أوفي الموضوع - الذي استهواني - حقه من البحث والاستقصاء، بقدر ما أسعفتني المراجع والمصادر المتاحة.

وعندما تقدمت بالبحث الى ادارة التعليم، سرني اغتباط سعادة مدير التعليم به وإطرائه له، وبادر - مشكوراً - برفع نسخة منه الى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الرئيس العام

لرعاية الشباب باعتباره إسهاماً من إدارة التعليم بعرعر في العام الدولي للشباب. كما رفع نسخة أخرى منه الى صاحب السمو أمير منطقة الحدود الشمالية عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد، رئيس اللجنة الخاصة برعاية نشاطات العام الدولي للشباب في المنطقة.

ولم يمض سوى أسبوعين حتى تلقت إدارة التعليم خطاباً من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب، يبدي سموه فيه إعجابه بالبحث وتقديره للجهد الذي بُذل فيه، وثناءه عليه مادةً وإخراجاً.

لقد أثلج صدري اهتمام سموه بالبحث وتقديره له، فرأي سموه شهادة أعتز بها أيما اعتزاز. وأسعدتني كثيراً - كذلك - عبارات الإطراء والاستحسان التي كنت أتلقاها من كل من اطلع على البحث من الأصدقاء الذين أحاطوني بمشاعرهم الطيبة وتشجيعهم المخلص. من أجل ذلك كله فكرت جدياً في طبع الكتاب، مبتغيا به وجه الله تعالى، في أن ينفع به الشباب العربي المسلم.

وقد جعلت الكتاب في ثلاثة فصول. تحدثت في الأول منها عن خصائص الحضارة الغربية وروافدها. وتحدثت في الثاني عن آثارها السلبية على الشباب المسلم. وتحدثت في الثالث عن إفلاسها وعن إحياء الحضارة الاسلامية؛ باعتبارها هي الحل وهي الأمل والرجاء.

وحسب طرق البحث الحديثة، فقد اكتفيت في الهوامش عند ذكر المراجع بالإشارة الى اسم المؤلف أو لقبه إذا لم يكن له في ثبت المراجع سوى كتاب واحد، لانتفاء اللبس. أما إذا تعددت كتبه في ثبت المراجع فقد كنت أشير الى عنوان الكتاب منعاً للبس. ويمكن للقارىء الكريم أن يستوفي باقي البيانات الأخرى من ثبت المراجع في آخر الكتاب.

وفي الختام: فإنني أتقدم بالشكر الخالص والتقدير العميق لكل من شرفوني بحسن ظنهم بي، وأسعدوني بجميل رأيهم فيَّ، وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي أمير الشباب فيصل بن فهد بن عبد العزيز، أمد الله في عمره. وإنني لأقدر في الجميع كريم تشجيعهم وصدق مشاعرهم.

ولست أدعي في بحثي هذا الكمال، ولكن حسبي أنه جهد مخلص على قدر ما أسعفني الوقت والجهد والمصادر والمراجع المتاحة، كما أسلفت، وحسبي أيضاً أنني توخيت به أن يكون شمعة تسهم في إنارة السبيل للشباب العربي المسلم، بحيث يعرفون مكانهم الحقيقي في هذا العالم المضطرب، ويدركون دورهم ومسئوليتهم في حمل مشعل الخير والسلام والهداية للبؤساء التائهين في دروب الحياة.

وما توفيقي إلا بالله، وهو حسبي ونعم الوكيل.

عرعر في الخامس والعشرين من رجب ١٤٠٥هـ.

الموافق للخامس عشر من نيسان ابريل ١٩٨٥م.

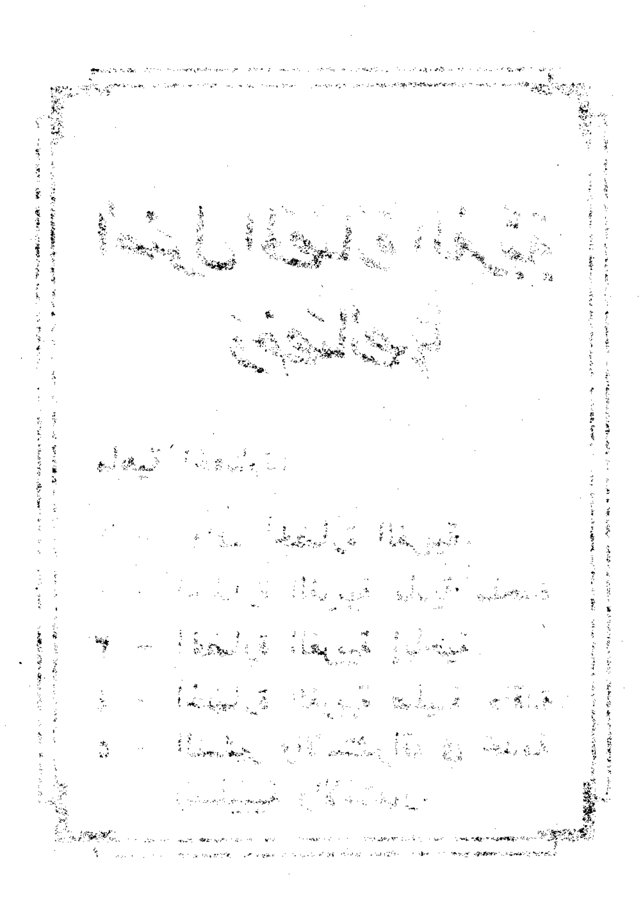
حسن حسن سليمان

الفصل الأول

أصول الحضارة الغربية وخصائصها

ماهية الحضارة:

١ - روافد الحضارة الغربية.
٢ - الحضارة الغربية مادية ملحدة.
٣ - الحضارة الغربية إباحية.
٤ - الحضارة الغربية صليبية حاقدة.
٥ - التبشير والاستشراق في خدمة الصليبية والاستعمار.



مَاهِيَــةُ الحَضَــارَةِ

الحضارة هي كل إنجاز فكري أو مادي للإنسان على وجه الأرض، وهي بذلك تشمل: الدراسات الأدبية والنظرية والعقلية والفلسفية، والوسائل والمخترعات والابتكارات التي وصل المجتمع الإنساني بها إلى آفاق بعيدة من الرقي والتنظيم المادي والرفاه الاجتماعي في الحياة، والنظم التي يضعها المجتمع لدعم كيانه وتحقيق أهدافه في الحياة بسهولة ويسر.

وغاية الحضارة الارتفاع بالحياة الأنسانية المتعددة الجوانب: الفكرية منها والعقلية والمادية والعملية والمعاشية والنفسية والخلقية والاجتماعية والفردية والحضارة الخيّرة هي التي ترتفع بهذه الجوانب كلها.

ومقياس الحضارة والتطور ليس في المصنوعات المادية والعلوم المختلفة ولكن في طريقة تأثر الإنسان بذلك كله ومدى ارتفاعه أو انخفاضه في مقيـاس «الإنسان» الـذي يختلـف عن مقيـاس «الحيوان» ومـدى استخدامه للمزايا التي تفرّد بها. وليست قيمة الإنسان في ما لديه من أجهزة حديثة ومعدات متطورة ولكن في أثر ذلك كله في مشاعره وعواطفه وكيانه النفسي.

والذي يتوقف عليه بقاء شعب من الشعوب واستمراره هو إعداد أجيال لديها الكفاءة للمحافظة على تراثها القومي ونقله إلى أجيالها القادمة وإبقاء الخصائص الحضارية المميزة لها. فإذا فقدت الأجيال

الكفاءة التي تستطيع بها نقل ما توارثته عن أسلافها إلى أخلافها فإنها تبيد وتندثر. والاندثار لا يكون بانقطاع الجنس وإنما يكون باندثار الحضارة وفنائها وانهيار شخصيتها وانصهارها في شخصية أخرى.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال: «يا معشر المهاجرين! خصال خمس إن ابتُليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم يُنقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم»[1].

١ - روافد الحضارة الغربية:

ليست قيم الحضارة الغربية الحديثة قيماً مسيحية بالضرورة؛ وإنما هي قيم وأفكار يونانية ورومانية وتلمودية عميقة الجذور، ناتجة عن امتزاج الفكر اليوناني والروماني بالفكر اليهودي الحاقد على الإنسانية والراغب في امتصاصها بالربا وقتلها بالسيطرة واستغلال مقدراتها وإغراقها في الفساد والانحلال. ومن هنا قامت المدنية الغربية على المدنية اليونانية والرومانية الوثنية ولم تأخذ من المسيحية سوى الطلاء الخارجي فقط، فجاءت حضارة مادية وثنية لا تؤمن بغير النفع العملي والربح المادي والقوة، وهي نفعية لا دينية لا تجحد الله ولكنها لا ترى له مجالاً في نظامها الفكري الحالي[2].

---

(١) الصواف: «أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب» ص٧٤.

(٢) محمد أسد ص٣٩.

وورث الغربيون عن اليونان والرومان كذلك نظرتهم إلى أنفسهم على أنهم وحدهم المتمدينون، أما كل من كان أجنبياً عنهم وعلى الأخص أولئك الذين كانوا يعيشون شرق البحر المتوسط فقد كانوا يسمونهم البرابرة. ومن ذلك الحين والأوربيون يعتقدون أن تفوقهم العنصري على سائر البشر أمر واقع، وأصبح احتقارهم لكل من ليس أوربياً إحدى الميزات البارزة لحضارتهم[1]. وتتفق هذه النظرة مع نظرة الصهيونية العالمية التي تحلم بالسيطرة على العالم، فالتلمود يقول: إن الأميين (غير اليهود) هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار «وتقول لهم تعاليمهم السرية: تربصوا حتى تجدوا الغفلة التي تثبون فيها على ظهور الحمير»[2].

ومما جاء في «التلمود»: «إن بني إسرائيل هم وحدهم بنو آدم»[3] و «إن غير اليهودي لا يمكن أن يكون لنا أخاً، فمن ثم ليس هو مناط المحبة»[4] و «المال الذي يملكه غير اليهود مثل أرض دون مالك تسيرون عليها في الصحراء وتصبح لمن يمتلكها أولاً ومثلها المال»[5] و «إعادة مال غير اليهودي إليه جريمة»[6] و« إذا قتل غير يهودي يهودياً يعاقب على جريمته وإذا قتل يهودي غير يهودي فلا حكم عليه»[7].

---

(١) محمد أسد: ص ٥٢.
(٢) جواد أتلخان - وجاهلية القرن العشرين: ص ٣٨. ص ٥٢.
(٣) جواد أتلخان: ص ٦١.
(٤) المصدر السابق: ص ٦١.
(٥) المصدر السابق: ص ٦٢.
(٦) المصدر السابق: ص ٦٣.
(٧) المصدر السابق: ص ٦٤.

وفي التلمود البذور الأولى للإباحية والفساد الخلقي والانحلال من مثل قوله: قيمة بكارة اليهودية مائتا زور ويمكن أن يُقدم هذا المبلغ بالمساومة مقدماً[1]. (والزور نقد عبري قديم) وقوله: إذا أجرّت امرأة بمالها شخصاً ليتصل بها اتصالاً جنسياً بعد استئذان زوجها فليس في عملها هذا ما يشينها، وأما إذا كان الشخص المأجور غير يهودي فعملها مشين، لأن المستفيد في هذه الحالة هو غير اليهودي[2]. والذي ينام مع أخته ثم يستغرقان في لذات جنسية دون أن تشكوه أخته فلا قبُح في فعلها هذا، وإن شكته قُدّم إليه النصح بعدم العودة الى هذا الفعل مرة أخرى. والذي توفي أبوه عن أمه الشابة التي لا ترغب في الارتماء في أحضان رجال غرباء وتمّ الاتصال الجنسي برغبة متبادلة بينها وبين ابنها دون استعمال العنف فالأمر لا يخصنا في شيء إلى أن يبلغ الابن سن الزواج؛ وإذا أراد الابن أن يتزوج واعترضته أمه فعليه أن يقوم بإشباع شهوة كل من زوجته وأمه إلى أن تتزوج هذه الأخيرة[3].

والتلمود كتاب وضعه مئات من علماء اليهود منذ اكثر من خمسة آلاف سنة وفيه شرحوا الوصايا الواردة في التوارة شرحاً سلبياً ضاراً مضللاً وهو يوصي اليهود باتباع سياسة الخفاء والرياء والنفاق تجاه من ليسوا منهم. وقد عمل ملوك أوربا وباباواتها على مدى عدة قرون على إحراق التملود وذلك منذ القرن الثالث عشر الميلادي لما انطوى عليه من دعوات إباحية وأفكار هدامة ووصايا مضللة.

---

(١) المصدر السابق: ص ٦٥.
(٢) المصدر السابق: ص ٦٧.
(٣) المصدر السابق: ص ٦٨.

وقد استطاعت اليهودية التلمودية الصهيونية أن تحتوي الفكر الغربي الديني والثقافي عن طريق العلوم الإنسانية والسموم التي تقدمها من خلالها للسيطرة على الفكر البشري كله. وتُعد «بروتوكولات حكماء صهيون» العالم الشرقي والغربي للالتقاء تحت ظل الصهيونية عن طريق الأدب والقصة والشعر الجديد والمدرسة الاجتماعية التي نادى بها «دوركايم» وجميع دعاتها من اليهود، ونظريات علم النفس والأخلاق وعن طريقه التكامل بين الماركسية والوجودية والفرويدية.

وتشرح بروتوكولات حكماء صهيون «سياسة الصهيونية بقولها: سوف نستخدم أموالنا لتغذية العداء المتبادل بين الشرق والغرب مع استمرار استدرار عطف العالم على اليهود، في الوقت الذي ندعم فيه اسرائيل اقتصاديا وعلمياً وبشرياً على حساب من حولها من العرب الذين يجب أن نشغلهم بالفتن الداخلية حتى لا يفرغوا أبداً ولا يشعروا بما نفعله في إسرائيل. وعلينا أن نبقي إسرائيل بعيدة ما أمكن عن نار الحرب العالمية الثالثة حتى تكون قادرة على ممارسة إقامة الحكومة العالمية في روما بعد انتهاء الحرب. وعلينا أن نضمن لها موازنة البقاء بارتباط مع الولايات المتحدة من جانب وارتباط مع الاتحاد السوفييتي من جانب آخر[1]. وقولها: يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا. إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه وعندئذ تنهار أخلاقه. لقد رتبنا نجاح داروين وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم وإن الأثر الهدام للأخلاق الذي تُنشئه علومهم

(١) أنور الجندي: «الإسلام والغرب» ص ٢٢٧.

في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد[1]. وقولها: حينما نمكن لأنفسنا ونكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا[2].

وليست البروتوكولات سوى صورة حديثة منقحة عن التلمود. وهي في مجملها توضح نظرة اليهود الى العالم ومخططاتهم للسيطرة عليه، عن طريق إلقاء بذور الشغب في كل الدول بواسطة الجمعيات السرية والسياسية والدينية والفنية والرياضية والمحافل الماسونية والأندية والجمعيات العلمية، مع السيطرة على وسائل الطبع والنشر والصحافة والمدارس والجامعات والمسارح ودور السينما وشركاتها، مع وضع أسس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكرونه، لا على أساس الثروات الأخرى، مع إحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام كي لا يستريح العالم أبداً فيضطرا الى الاستعانة باليهود ويرضى صاغراً مغتبطاً بسلطتهم العالمية[3].

وقد وضع هذه البروتوكولات اكثر من ثلاثمائة من غلاة حكماء الصهيونية بزعامة «هرتزل» يمثلون خمسين جمعية يهودية في مؤتمرهم في بال بسويسرا ١٨٧٩ م.

وللصهيونية كما ذكرنا علاقة مباشرة بالعلوم الحديثة التي تحاول سحق المجتمع البشري كمدرسة التحليل النفسي التي نادى بها «فرويد» الذي ذهب إلى أن الدين ناشىء من الكتب، من عقدة أوديب، من العشق الجنسي الذي يحسه الولد نحو أمه ومن رغبة الابن في قتل أبيه، وكذلك الأخلاق فهي كبت صار بكيان الإنسان. أما المرأة فلا بد أن تحقق

---

(١) البروتوكول التاسع: ص ١٣٠.
(٢) البروتوكول الرابع عشر: ص ١٤٢.
(٣) بروتوكولات حكماء صهيون: ص ٣١ - ٣٢.

كيانها تحقيقاً جنسياً خالصاً من القيود، فالجنس عملية بيولوجية لا شأن لها بالأخلاق ولا علاقة لها بالأسرة وهو التحقيق الأكبر لكيان الإنسان، وهو مزاج شخصي لا يوصف بالشذوذ أو الاستواء ممن أعجبه الوضع السوي فهو وشأنه، ومن أعجبه الشذوذ فهو وذاك[١].

أما المدرسة الاجتماعية التي نادى بها «دوركايم» فقد ذهبت الى أن الدين ليس فطرة وأن الزواج كذلك ليس فطرة، والجريمة ظاهرة سوية، والأخلاق شيء لا يمكن الحديث عنه ككيان ثابت، وإنما كل ذلك من صنع العقل الجمعي الذي لا يثبت على حال، ويتنقل من النقيض الى النقيض[٢].

وثالث الثلاثة «كاي فردخاي» (كارل ماركس): فقد ذهب الى أن الدين أفيون الشعوب ومجموعة من الأساطير ابتدعها الإقطاعيون والرأسماليون لتخدير الجماهير الكادحة وتلهيتها بنعيم الآخرة عن حياة الحرمان في الأرض وهو يرى أن الأخلاق مجرد انعكاس للوضع الاقتصادي المتطور على الدوام؛ وهي ليست قيمة ثابتة، والمرأة يجب أن تخرج وأن تعمل[٣].

أما «داروين» فقد ذهب في كتابه «أصل الأنواع» إلى أن الإنسان حيوان مترقٍ لم يزل يجتاز بمرحلة بعد مرحلة في رحلته النوعية، ولم يزل ينتقل من «أميبا» إلى حيوان الى إنسان حتى بلغ كماله النوعي، فالعلة في الكون هي السنن الطبيعية لا الإرادة الإلهية، أي أن الحياة عملية ميكانيكية بحتة من خلق الطبيعة التي تخلق كل شيء، ولا

---

(١) جاهلية القرن العشرين: ص ٤٠.

(٢) جاهلية القرن العشرين: ص ٤٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٤١.

حدّ لقدرتها.. وقد أثرت هذه النظرية في أخلاق الناس وسلوكهم بالدعوة الى الرجوع الى الفطرة أيام كان الإنسان عارياً حراً، كما أدت الى فساد الحياة المنزلية، فقد قال المستر «شبرد» أحد العلماء الانجليز: «ظهر في انجلترا جيل يجهل الحياة المنزلية جهلاً تاماً ولا يعرف غير حياة القطعان والبهائم»[1].

وقد استغل اليهود «الداروينية» أبشع استغلال. تقول بروتوكولاتهم: إن داروين ليس يهودياً، ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها في تحطيم الدين[2]. وقد استغلوها على يد ثلاثة من أكبر علمائهم: فرويد، ودوركايم، وماركس، كما أسلفنا.

ويدير اليهود «الماسونية» بجميع محافلها. وقد احتفلت الصهيونية عام ١٩٦٤م في فلسطين المحتلة بوضع الحجر الأساسي لأكبر محفل ماسوني في العالم؛ وقد كان هدفه كما قال الحاخام الإسرائيلي: أن يضيء الطريق للماسونية لتحقيق جميع أهدافها بالعودة بكل الشعوب إلى أول دين أنزله الله على هذه الأرض، وما عدا ذلك فهي أديان باطلة[3]. وقد صرح الحاخام اليهودي «أماتوتيل راثيوفيتش» عام ١٩٥٢م أن الحرب العالمية الثالثة سيقودها اليهود للتخلص من الأنظمة القائمة في العالم، وخاصة في العالم الإسلامي، لإقامة الدولة اليهودية العالمية[4].

وفي نشرة للمحفل الأعظم الفرنسي: «نحن الماسون لا يمكننا أن نتوقف عن حرب الأديان لأنه لا مناص من ظفرنا أو ظفرها، ولن

---

(١) الندوي: ص ٢٠٩.
(٢) الندوي: ص ٢٠٨.
(٣) الجندي: «الاسلام والغرب» ص ٢٢٣.
(٤) المصدر السابق: ص ٢٢٣.

نرتاح الا بعد أن نُقفل جميع أبواب المعابد. وقال «كوكفيل» في محفل ممفيس بلندن: «إذا سمحنا لمسلم أو مسيحي بالدخول لمحفلنا فيجب أن ينسى جميع أضاليله وخُرافاته التي خُدع بها في شبابه. وقال «زيلي» على الماسون أن يتحرروا من كل اعتقاد بوجود الله، لأنه لم يبق أحد يؤمن بالله إلا البُله والحمقى[1].

وتكمن خطورة الماسونية في سريتها، فهي تتستر وراء جمعيات ومؤسسات ثقافية وفنية ورياضية. وهي أول ما تستهدف المرأة لتفكيك الأسرة، والعفة المطلقة عندها مرذولة لأنها ضد ميل الطبيعة.

وكما يقول «فرانك برايتون» في كتابه «الشيوعية والصهيونية» إنَّ الشيوعية والصهيونية صنوان، منبعهما واحد، وغايتهما واحدة، وجوهرهما واحد، والفئة التي تقوم عليهما من وراء الستار واحدة، وما اختلافهما الظاهر سوى ترتيب مؤقت اقتضاه النجاح في السعي الى الغاية الواحدة، حتى إذا تحققت بالنجاح الكامل اتحدتا معاً للسيطرة على العالم. ولا عبرة بهذا الفارق الظاهر بينهما والذي يتمثل في ثلاثة أمور: التسمية، ومراكز النشاط، وأسلوب العمل[2].

ومؤسسو الشيوعية هم: كارل ماركس وهو أكبر حاقد على البشرية، ولينين وستالين وهما من أصل يهودي، وكان مجلس الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ م يتألف من عشرة أعضاء منهم ستة من اليهود. وفي عام ١٩٥١ م كان أعضاء مجلس السوفييت الأعلى سبعة عشر عضواً منهم أربعة عشر يهودياً صريحاً وثلاثة من أصول يهودية أو من صنائع اليهود وزوجاتهم يهوديات. وكذلك الحال في بولندا ورومانيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا.

---

(١) الصواف: «المخططات العالمية لمكافحة الاسلام» ص ٢١٠.

(٢) الجندي «الاسلام والغرب» ص ٢٩٥.

وكان في مجلس العموم البريطاني في العام ذاته ثمانين عضواً من اليهود عدا المتنصرين منهم وصنائعهم[1]. ومن هنا كان لبريطانيا أكبر الأثر في تحطيم الخلافة العثمانية التي أبى خليفتها عبد الحميد أن يبيع فلسطين لليهود. وكذلك فقد كان لبريطانيا دور لا يُنسى في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين.

والرأسمالية أيضاً بدعة يهودية. فهي تمتهن الدين وتسرق وتنهب وتقتل وتلهي الناس بأدوات الترف والزينة والفساد، وتُخرج المرأة لتعمل بحثاً عن لقمة العيش وتستغلها لتحطيم حركات العمال من الرجال الثائرين على استغلال الرأسمالية وتُفسد أخلاقها، وهي تجمع العمال الشبان بعيداً عن أسرهم فتنتشر بينهم الفساد الخلقي وتيسر لهم حل أزمتهم عن طريق البغاء. وينقلب العالم الى ماخور يعج بالشهوات الدنسة التي يغرق فيها الرجال والنساء وعندئذ يثب اليهود على ظهور «الحمير».

٢ - الحضارة الغربية مادية ملحدة:

الحضارة الغربية سليلة الحضارتين اليونانية والرومانية، وقد خلفتها في تراثها السياسي والعقلي والحضاري، وانطبعت فيها ميولها ونزعاتها وخصائصها وانحدرت إليها في الدم. وهما حضارتان ماديتان وثنيتان في كل ما كان لهما من فن وعلم وشعر وثقافة وفلسفة. وقد تصوروا الله في آلهة شتى وأقاموا لها التماثيل والمعابد، ونسبوا إليها كل ما يختص بالجسم المادي، كما تصوروا المعاني المجردة في أجسام وأشكال فجعلوا للحب

---

(١) محمد خليفة التونسي: ص ٦٣.

(٢) جاهلية القرن العشرين: ص ٣٨.

إلهاً وللجهال إلهاً. ومن هنا كان نظام «العقول العشرة» و «الأفلاك التسعة» في فلسفة أرسطوطاليس.

وقد ألقى الدكتور الألماني «هاس» محاضرة في جنيف ذكر فيها أن المدنية اليونانية هي مركز المدنية الغربية المعاصرة، حيث كان مثلها الأعلى الجسم الجميل المتناسب، ولذلك صرفت همها الى الألعاب الرياضية والرقص، وكان ثقافتها الشعر والغناء والتمثيل والفلسفة وحداً خاصاً من العلوم الطبيعية حتى لا يكون ارتقاء الذهن على حساب الجسد. وكانت ديانتها خلواً من الروحانية المعنوية[١]؛ فقد كانت تعظّم آلهتها بالرقص والغناء[٢] ومن هنا كثرت في حياتهم الأفراح والألعاب والأعياد مع قلة الجد والخشوع. لقد كانوا في حياتهم وعباداتهم أجساداً بغير أرواح.

وكانت الحضارة الرومانية على مثل ذلك: ذكر الراهب أغسطين: «كان الروم الوثنيون يعبدون آلهتهم في المعابد ويهزأون بها في دور التمثيل. لقد تجرأ الناس على الآلهة وأهانوها فقد حطم الامبراطور أغسطس تمثال «نيبتون» إله البحر لما غرق أسطوله[٣].

وقد ورثت الحضارة الغربية عن الحضارة الرومانية روح الإثرة والاستعمار والنظر المادي البحت إلى الحياة، يقول الأستاذ محمد أسد في كتابه: «الإسلام على مفترق الطرق» انه قد سيطرت على الرومان روح احتكار القوة واستغلال الأمم الأخرى ولم يكن رجالها يتحاشون أي ظلم أو قسوة في سبيل تحقيق خفض العيش للطبقة الممتازة ولم يكن عدل

---

(١) الندوي: ص ١٧٤.
(٢) المصدر السابق: ص ١٧٥.
(٣) المصدر السابق: ص ١٧٦.

الروم إلا للروم فقط. كانت نظرتهم إلى الحياة مادية بعيدة عن كل القيم الروحية[1].

ومن الناحية الأخلاقية فقد صوّر «درابر» الأمريكي انحطاط الرومان وبهيميتهم بقوله: لما بلغت الدولة الرومانية أوج قوتها السياسية والحربية ووصلت في حضارتها إلى أقصى الدرجات هبطت في فساد الدين وانحطاط الأخلاق إلى أقصى الدرجات، أصبح مبدأ الرومان أن الحياة فرصة للتمتع ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف إلى لهو إلى لذة، ومن أجل ذلك استباحوا كل شيء ولم يقيموا وزناً للقيم الأخلاقية أو الدينية. كانوا يرون أنه ما من شيء يستحق العبادة إلا القوة: بها يمكن الإنسان أن ينال الثروة التي يجمعها أصحابها بعرق الجبين وبها يمكن أن يحقق لنفسه كل لذة أو متاع[2].

وعندما تنصّر الروم لم تستطع المسيحية القضاء على مظاهر الوثنية في سلوك الرومان وفي تفكيرهم. لقد مَسخت هذه الوثنية دين المسيح كما مسخه أهله، وكان قسطنطين الكبير أكثر مسخاً له وتحريفاً وهو حامي المسيحية ورافع لوائها؛ فقد قضى عمره في الظلم والفجور ولم يتقيد بأوامر الكنيسة إلا قليلاً في آخر عمره[3].

ولم تستطع المسيحية الملقحة بالوثنية أن تبعث في الروم حياة جديدة دينية نقية طاهرة بل إنها ابتدعت رهبانية كانت شراً على الإنسانية والمدنية من بهيمية روما الوثنية؛ فقد كان تعذيب الجسم مثَلاً كاملا في الدين والأخلاق وقد روى المؤرخون عن ذلك عجائب: فتحدثوا عن راهب نام

---

(١) محمد أسد: ص ٣٨.
(٢) الندوي: ص ١٨٢.
(٣) المصدر السابق: ص ١٨٣.

ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام، وعن راهب كان يحمل دائماً قنطاراً من الحديد، وراهب أقام ثلاثة أعوام في بئر نزح (مجاري) وراهب عبد ثلاث سنين على رجل واحدة وكان إذا تعب جداً أسند ظهره إلى صخرة. وكان بعض الرهبان لا يكتسون وإنما يسترون أجسامهم بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام، وكان أكثرهم يسكنون في المغارات وآبار النزح والمقابر ويأكلون كثيراً من الحشائش. وكانوا يرون أن نظافة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون من غسل الأعضاء حتى إن أحدهم لم يغسل رجليه طول عمره، وقد قال راهب بعد ذلك بقرنين متلهفاً: واأسفاه! لقد كنا في زمن نعدّ فيه غسل الوجه حراماً فإذا بنا الآن ندخل الحمامات وكان الرهبان يتجولون في البلاد يختطفون الأطفال الصغار ويهربون بهم ليربوهم تربية رهبانية[1]. وكانوا يفرون من النساء ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق والتحدث إليهن تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية؛ ولو كن أمهات أو شقيقات[2].

ولم تستطع هذه الرهبانية أن تعدّل من حدة المادية الرومانية أو تكبح جماحها وغلواءها في البهيمية والشهوات، نظراً لجافاتها للفطرة الإنسانية وافتقارها إلى التوجيه الروحي الأخلاقي الحكيم المفيد. لقد كانت الرهبانية رد فعل لتيار المادية الطاغي ففرضت على الناس نظاماً لم يستسيغوه ولم يطيقوه فأحدثت بدورها رد فعل للتخلص منها والتمرد عليها؛ فكانت حركة الفجور والإباحية وحركة الغلو في الزهد والرهبانية تسيران في البلاد المسيحية جنباً إلى جنب.

---

(١) الندوي: ص ١٨٥.
(٢) المصدر السابق: ص ١٨٦.

ولم تستطع الرهبانية المسيحية المضي في نظامها الذي ابتدعته وفرضته على نفسها فقهرتها الفطرة الإنسانية وتسرب الضعف والإنحراف إليها حتى صارت تزاحم المراكز الدينوية وتسبقها في فساد الأخلاق والفجور والدعارة. واتُّهم الرهبان بالكبائر والمنكرات. ويصور الراهب «جروم» هذا الوضع بقوله: «إن عيش القسوس ونعيمهم كان يفوق ترف الأغنياء والأمراء، وقد انحطت أخلاق الباباوات وغلبهم الجشع وحب المال حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع وقد تباع بالمزاد العلني، ويؤجرون أراضي الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران، ويأذنون بنقض القانون، ويمنحون شهادات النجاة وإجازات حِلّ المحرمات والمحظورات كأوراق النقد وطوابع البريد، ويرتشون ويرابون، وقد بلغ من تبذيرهم أن البابا «أتوسنت الثامن» رهن تاج البابوية، وأن البابا ليو العاشر أنفق كل ما تركه البابا السابق وأنفق نصيبه ودخله، كما أنفق إيراد خليفته المرتقب[1].

وبدأ النزاع بين البابوية والامبراطورية، واشتد بعنف، وانتصرت البابوية أولاً حتى أن الامبراطور هنري الرابع اضطر سنة ١٠٧٧م أن يتقدم بخضوع نحو البلاط البابوي في قلعة كانوسا ولم يسمح له البابا بالدخول إلا بعد أن شفع له بعضهم فمثل بين يديه صاغراً حافياً لابساً الصوف وتاب على يديه فغفر له زلته. واستمرت الحرب سجالاً حتى ضعفت البابوية وبقي الناس أثناء ذلك يرزحون تحت نير البابوية ونير الامبراطورية؛ ويعيشون في ظلمات الجهل والخرافة والانحطاط، وأُصيبت المدنية في الصميم، فلم يتضاعف سكان أوربا في ألف سنة بسبب حياة العزوبة التي كانت الكنيسة تزينها للناس وبسبب انتشار الأمراض

---

(١) الندوي: ص ١٨٩.

والأوبئة بسبب عدم سماح الأساقفة والرهبان للأطباء بمزاولة نشاطهم حتى لا يشاركوهم في مكاسبهم المالية ولا يُضعفوا من سلطانهم على عقول الناس وحياتهم.

وكان أعظم أخطاء رجال الدين في أوربا أنهم دسوا في كتبهم المقدسة معلوماتهم الخاطئة عن التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية، وكان ذلك سبباً فيما بعد في الصراع بين العلم والدين والذي انهزم فيه ذلك الدين المختلط بعلم البشر، والذي فيه الحق والباطل والخالص والزائف.

واشتد الصراع بين العلم والدين المسيحي كما كانت تراه الكنيسة وذلك في الوقت الذي انفجر فيه بركان العقلية في أوربا حيث حطم علماء الطبيعة سلاسل التقليد الديني فزيّفوا معلومات الكنيسة وانتقدوها بكل شدة وصراحة بل وتمردوا عليها وأنكروا إيمانهم بها، وتوالت اكتشافاتهم العلمية، فقامت قيامة الكنيسة وكفّرت العلماء واستحلت دماءهم وأموالهم باسم الدين المسيحي وأقامت محاكم التفتيش لمعاقبة ما أسمتهم بالملحدين والزنادقة الذين بلغ عددهم ثلاثمائة ألف أُحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء[1] وكان من بينهم العالم الطبيعي «برونو» الذي قال بتعدد العوالم فأُحرق حياً والعالم الطبيعي غاليليو الذي قتل لأنه قال بدوران الأرض حول الشمس.

ثار المجددون والعلماء وصاروا حرباً لرجال الكنيسة وتمردوا على كل ما يتصل بهم من عقيدة وثقافة وعلم وأخلاق وأدب، وعادوا الدين المسيحي أولاً ثم عادوا الدين جملة. وأعلن العلماء أن الدين والعلم ضرّتان

---

(١) الندوي: ص ١٩٢.

لا تتصالحان وأن العقل والدين ضدّان لا يجتمعان فمن استقبل أحدهما استدبر الآخر.

وأدت هذه القطيعة بين العلم والدين إلى اتجاه الغرب نحو المادية بكل معانيها النفسية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والعلمية والأدبية والفنية والسياسية فقام علماء الفلسفة والعلوم الطبيعية ينظرون في الكون على أساس أنه لا خالق ولا مدبر ولا قوة وراء الطبيعة والمادة، وصاروا يفسرون العالم الطبيعي ويعللون ظواهره وآثاره على أساس ميكانيكي بحت وسموا ذلك نظراً علمياً مجرداً وسموا كل نظر يقوم على أساس وجود إله خالق نظراً تقليدياً لا يتفق مع العلم والحكمة وجعلوه محل سخريتهم.. وأدى بهم ذلك إلى عدم الإيمان إلا بما يأتي تحت الحس والاختبار وأصبح لذلك الإيمان بالله وبما وراء الطبيعة من قبيل المفروضات التي لا يؤيدها علمهم ولا عقولهم.

والحضارة الغربية المعاصرة ما تزال تجمع بين النظر المادي الجاحد الملحد والحياة المادية وبين الطقوس الدينية المسيحية بالتقليد أو تأثير المحيط أو المصالح الاجتماعية والخلقية التي تقضي بالإبقاء ولو بالاسم على نظام ديني يؤلف بين أفراد الأمة ويحفظها من الفوضى.

وقام الكتّاب والمؤلفون والأدباء والمعلمون والاجتماعيون والسياسيون في أوربا ينفخون صور المادية وينفثون سمومها في عقول الناس وقلوبهم وراحوا يفسرون الأخلاق تفسيراً مادياً وقسموها إلى شخصية واجتماعية ودعوا إلى فصل الدين عن السياسة باعتباره قضية شخصية لا يجوز أن تتدخل في حياة الناس العامة وإنما يجب أن ينحصر موضوعه على الحياة الأخروية. وكانت ثورتهم عنيفة على الأخلاق والنظم الاجتماعية القديمة، فزينوا للناس الإثم ونشروا دعوة الإباحية ودعوا إلى التهام الحياة البهيمية بعيداً عن كل قيد أو مسئولية بإرضاء الشهوات وانتهاب

الملذات وغالوا وأسرفوا في تقدير قيمة الحياة واللذة العاجلة والربح المادي فعادت حضارتهم صورة صادقة عن الحضارتين اليونانية والرومانية، وأصبحت ديانة أوربا المادية لا المسيحية، بعد أن فصلت فصلاً تاماً بين الدين والعلم وبين الروح والمادة، وبين الدنيا والآخرة؛ فهي لا تجحد الله صراحة ولكن ليس في نظامها الفكري موضوع لله في الحقيقة ولا تعرف له فائدة ولا تشعر بحاجتها إليه[1]. ويؤيد ذلك ما ذكره الأستاذ «جود» رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس في جامعة لندن من أنه سأل عشرين طالباً وطالبة كم منهم مسيحي بأي معنى من معاني الكلمة، فكان منهم عشرة معادون للمسيحية وسبعة لم يفكروا في هذه المسألة أبداً وثلاثة فقط مسيحيون[2]. ويقول الأستاذ «جود» أيضاً: لم يزل سائداً في عقلية انجلترا شره للمال والتملّك وهي تجند لذلك كل وسائلها الإعلامية لاعتقادها أنّ الأمة المتمدنة هي التي ارتقت فيها عاطفة الشره والتملك: ولذلك قال أحد الصحفيين الأمريكيين: يعبد الانجليز بنك انجلترا ستة أيام في الأسبوع ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة[3].

وقد ذكر «الكواكبي» في كتابه «طبائع الاستبداد» أن الجرماني جاف الطبع يرى أن العنصر الضعيف يستحق الموت، ويرى كل الفضيلة في القوة، وكل القوة في المال، وهو يطلب العلم والمجد لأجل المال، واللاتيني مطبوع على العجب والطيش يرى العقل في الانطلاق، والحياة في خلع الحياء، والشرف في الزينة واللباس[4].

---

(١) محمد أسد: ص ٤٠.
(٢) الندوي: ص ١٩٨.
(٣) المصدر السابق: ص ٢٠١.
(٤) المصدر السابق: ص ٢٠٤.

ويقول «جوليان هيكسلي» أحد دعاة الداروينية في كتابه «الإنسان في العالم الحديث» إن الله كان خرافة خلقها الإنسان لنفسه لتؤنسه حين أحس بالوحشة في هذه الحياة وإنه قد آن الأوان لنبذ هذه الخرافة ولأن يضع الإنسان نفسه مكان الله[1].

ومن مظاهر المادية الأوربية أن القوم ينغمسون في ملذاتهم حتى في أشد الساعات حرجاً؛ ففي أيام الحرب العالمية الثانية كانت الملاهي ودور السينما في أوج نشاطها، وقد ظهرت أجمل التمثيليات والأفلام في أشد أيام الحرب. وفي بداية عام ١٩٤٢م لم ينسَ «تشيرتشل» رئيس وزراء بريطانيا آنذاك أن يحتفل في عيد رأس السنة بالرقص والغناء والشراب على ظهر قطار كان يقلّه في رحلة رسمية من كندا إلى الولايات المتحدة[2]. مع أنّ ساعات الحرب أوقات تأمل وعودة إلى الله سبحانه وتعالى.. أين ذلك من آداب الإسلام في مثل قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله لعلكم تفلحون﴾[3] وفي مثل فعله ﷺ، حيث كان إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة!!.

٣ - الحضارة الغربية إباحية:

الدين مصدر الأخلاق، ولا مصدر سواه. والانحراف الديني يتبعه بالضرورة انحراف خُلُقي. وقد بدأ الانحراف الخلقي الأوربي عندما اتجهت النهضة الحديثة اتجاهاً مادياً لا دينياً، وعندما أصبحت الأخلاق خاضعة لمعايير الفلسفة فأصبحت مُثُلاً معلقة في الفضاء منعزلة عن السلوك الذي أصبحت تحكمه الضرورات والمصالح، أي أن هناك فرقاً

---

(١) معركة التقاليد: ص ٥٦.
(٢) الندوي: ص ٢٠٣.
(٣) سورة الأنفال: آية ٤٥.

بين النظرية والتطبيق، فالأخلاق نفعية، فإذا انتفى نفعها أصبح تطبيقها خرافة. وفي هذا الجو ولدت الميكيافيلية في القرن الخامس عشر والتي نادت بأن الغاية تُبرز الوسيلة. وأصبحت هذه القاعدة تحكم السلوك الغربي كله، بدأت أولاً في السياسة ثم شملت كل نشاطات الحياة.

وعملت الرأسمالية المادية على إفساد الأخلاق باستغلال الأطفال والنساء والبحث عن فرص الربح المجنون في الملاهي وأدوات الزينة والموضات والتقاليع ونهب خيرات البلاد المستعمرة وتصدير المفاسد إليها. وانفصل الاقتصاد عن الأخلاق كما انفصلت السياسة عنها من قبل.

ثم انفصل الجنس عن الأخلاق على هدي التفسير الحيواني للإنسان عند داروين والتفسير الجنسي للسلوك عند فرويد وفي ظل الانقلاب الصناعي المادي مما جعل (ماركس) يقول: إن العفة الجنسية من فضائل المجتمع الإقطاعي البائد وتبعه فرويد بقوله: إن الإنسان لا يحقق ذاته إلا بالإشباع الجنسي، وكل قيد من دين أو خلق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمر لطاقات الإنسان وهو كبت غير مشروع[1].

وتعاني أوربا من مشكلة انخفاض نسبة المواليد بين النساء العاملات لا عن اختيار ولكن عن عقم لا يُعرف سببه. ويبدو أن انصراف المرأة عن وظيفة الأمومة واندماجها في عالم الرجل قد جعل الخصائص المميزة للأنوثة فيها تضعف وتضمر تدريجياً مما يمهد لظهور جنس ثالث تضمر فيه خصائص الأنوثة، فالوظيفة تخلق العضو حسب القاعدة المشهورة.

---

(١) جاهلية القرن العشرين: ص ١٥٧.

وفي نطاق الأسرة يقول «ول ديورانت» الفيلسوف الأمريكي: إن الزواج في الغرب ليس زواجاً بالمعنى الصحيح لأنه صلة جسمية لا رباط أبوة وأمومة[1] فالرباط العاطفي والوجداني مفقود والبيت أشبه بفندق يعيش فيه رجل وامرأة يمارسان وظيفة الزوجية كما يمارس الموظف عمله بلا حماس، في مثل هذا البيت لا بد أن ينشأ الأطفال منحرفين لحرمانهم من مشاعر العطف والحنان والمودة بسبب إنشغال والديهم عنهم مما دعا «ألكسيس كاريل» أن يقول: إنّ الكلاب الصغيرة التي تنشأ مع أخرى من نفس عمرها في حظيرة واحدة لا تنمو نمواً متكاملاً كالكلاب الحرة التي تجري وراء والديها. وكذلك الحال بالنسبة للأطفال الذين يعيشون وسط جمهرة من الأطفال الآخرين وأولئك الذين يعيشون بصحبة والديهم[2].

أما أسباب الانحلال المباشرة في الغرب فإنها تتمثل في التوجيه المستمر نحو الإباحية والتحلل والظروف الاقتصادية التي تدفع بالمرأة إلى العمل وسهولة الحصول عليها في العمل أو الشارع أو الكلية أو المدرسة، وعدم تيسّر الزواج المبكر والإغراء عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة، وانتشار البغاء المصرح به رسمياً وغير رسمي، واختراع موانع الحمل وانتشارها، وانتشار المخدرات وكتب وقصص وأفلام الجنس ونوادي العراة والحركات الشاذة كالوجودية والهيبية.

وشواهد الإباحية في الغرب أكثر من أن تحصى، ومنها ما جاء في التقرير السنوي لوزارة الداخلية البريطانية من أن عشرة آلاف فتاة تحت العشرين من أعمارهن ألقي القبض عليهن بتهمة الدعارة والتسكع

---

(١) و (٢) جاهلية القرن العشرين: ص ١٤٠.

والتحريض على الفسق (١٩٦٠م) كما صرح مدير «سكوتلانديارد» أن عصابات المراهقات والنساء تهدد أمن لندن[١]. وفي عام ١٩٦٠م كان طفل واحد من كل تسعة مواليد لم تتزوج أمه وبلغ عدد هؤلاء ستين ألف طفل[٢]. وقد أدى الاختلاط إلى ظهور «الأم الآنسة» و «الجنس الثالث» وهو يعني المرأة التي خالطت الرجال فابتعدت عن أنوثتها ووظيفتها وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

ومن هذه الشواهد أيضاً انتشار حالات الانتحار بسبب تعاطي المخدرات وأكثرها شيوعاً حبوب الهلوسة بحثاً عن السعادة المزعومة. وانتشار حالات الإجهاض والسماح به في دول الغرب. ومنها نشر البحوث المستفيضة في الصحف والمجلات عن تجارة الجنس وأرباحها وعن أفلام الجنس وكتبه ومجلاته المتخصصة المصورة، وعن البغاء والملاهي الليلية وعن صالونات التمسيد التي هي في حقيقتها صالونات للدعارة.

ومنها شيوع حالات الحمل غير الشرعي لاسيما لدى الفتيات في سن الخامسة عشرة بل وفي سن الحادية عشرة أحياناً. وفي أمريكا صدرت مجلة باسم (بلاي جيرل) مخصصة للنساء فقط وهي تنشر صور الشبان عرايا تماماً وتكتب المقالات والدراسات عن تصرفات الرجل وميوله واتجاهه في موضوع الجنس وكيفية الإيقاع والاحتفاظ به، تحت قبضة المرأة. وقد صدرت هذه المجلة رداً على مجلة «بلاي بوي» التي تنشر صور أجمل نساء الدنيا في أوضاع مماثلة.

---

(١) شوقي أبو خليل: ص ١٩١.
(٢) المصدر السابق: ص ١٨٩.
(٣) الجندي «الإسلام والغرب»: ص ٢٠٣ وما بعدها.

وقد عرض مسرح أوبرا كوبنهاجن بالدنمارك باليه (أشعار الموت) عن قصة «يوجين أونسكو» وتدور حول أطماع الإنسان ونزعته إلى الدمار، وقد وقف في العرض مائتان وعشرون راقصاً وراقصة عرايا تماماً[١].

وقد أدت هذه الموجة من الانحلال وطغيان طوفان المادية على الأخلاق والسلوك إلى ضعف الصلات الأسرية والصلات بين الجنسين وتردي المثل وغياب الوازع الديني لأن الحضارة الغربية قد تخلت عن شخصية الإنسان الروحية وفضائله الخلقية للمقتضيات المادية في مجموع آلي يدعونه المجتمع حيث لا يكون الفرد إلا سناً في دولاب[٢].

ولهذه الأسباب أيضاً انتشرت أمراض الزهري والأمراض النفسية والعصبية والعقلية في الغرب، كما انتشرت عصابات السلب والنهب والاغتصاب وعصابات المخدرات، وعصابات الأطفال، مما حدا بالرئيس الأمريكي أن يصرح عام ١٩٦٢م بأن مستقبل أمريكا في خطر، لأن شبابها مائع منحل، غارق في الشهوات، لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه، وإنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجه ستة غير صالحين، لأن الشهوات التي غرقوا فيها قد أفسدت لياقتهم البدنية والنفسية. وفي العام نفسه صرح رئيس وزراء روسيا «خروتشوف» تصريحاً مماثلاً عن شباب روسيا. وقد اضطرت وزارة الخارجية الأمريكية إلى فصل ثلاثة وثلاثين من موظفيها لأنهم مصابون بالشذوذ الجنسي فأصبحوا غير مؤتمنين على أسرار الدولة[٣]. وفي أمريكا أيضاً: انتشرت عصابات من كبار المثقفين: أطباء ومحامين وكُتّاب مهمتها

---

(١) الجندي: الإسلام والغرب. ص ٢٠٥.

(٢) محمد أسد: ص ٥٠.

(٣) جاهلية القرن العشرين: ص ١٦٤.

تيسير عملية الزنا لأغراض قانونية، فأمريكا الكاثوليكية لا تبيح الطلاق إلا عند ثبوت الزنا من أحد الزوجين، ولتيسير ذلك يلجأ الكاره منهما إلى استئجار هذه العصابات للإيقاع بالطرف الآخر وضبطه متلبساً بجريمة الزنا، وبتقديم المستندات القانونية يحصل على الطلاق. وهناك عصابات لبيع الفتيات لأثرياء أوربا من أجل المتعة الجنسية[1].

ومن المألوف أن تُشاهد في شوارع لندن بعد الغروب بائعات الجنس يعرضن بضاعتهن على عابري السبيل ويتصيدن طالبي اللذة المحرمة كما أنه من المألوف أيضاً وجود المحلات في أسواقها تتخصص في بيع أدوات الجنس ولوازمه. ويبدو أن العالم الغربي قد ابتدع كل طريقة لإثارة الرغبات وإشباعها.

وفي مقال نشرته «أخبار اليوم» القاهرية لموسى صبري، روى فيه عن أستاذ جامعي سويدي قوله: إننا نعلم أبناءنا وبناتنا في المدارس الثانوية في سن مبكرة كل شيء عن الجنس واضحاً صريحاً، ليست لدينا مشكلة جنس، إن المتعة الجنسية كمتعة الطعام اللذيذ ومتعة الملابس الأنيقة، والعلاقات الجنسية بين الرجال والنساء شيء طبيعي قبل الزواج، وهذا أمر عادي، وما يباح للشاب يجب أن يباح للفتاة[2]؛ ومن هنا فقد فسر الفيلسوف الأمريكي «ول ديورانت» ظاهرة استمرار الانحلال بعد الزواج بأنها ثمرة التعوّد قبله[3]. والمجتمع الأوربي لا ينكر الولادة غير الشرعية، وتتكفل الدولة بالإنفاق على المواليد غير الشرعيين حتى سن السادسة عشرة.

---

(١) جاهلية القرن العشرين: ص ١٦٥.
(٢) الإسلام ومشكلات الحضارة: ص ١٥٧.
(٣) جاهلية القرن العشرين ص ١٧٥.

ويتصل بهذا الموضوع ما رواه لي أثناء زيارتي للندن صديق عربي يعمل في إحدى الشركات البريطانية من أن له زميلة في العمل، كان يعلم أنها غير متزوجة، وفي يوم شاهدها ومعها أطفال ثلاثة، فقال لها: أظن أنهم أبناء قريب أو قريبة لك! قالت: لا! إنهم أولادي! فقال لها مستغرباً: ولكنك غير متزوجة! فقالت ببرود: نعم! ومع ذلك فهم أولادي! ففهم الموضوع وعاد وسألها: ومن أبوهم إذن؟! فقالت ضاحكة: هذا الذي لا أعلمه بالضبط، ولكن الذي أعلمه بالضبط أنهم أولادي وأنا أمهم!

وقُدّر لي أن ألتقي في تلك الزيارة بتلك الأم الآنسة وكانت برفقة صديقي ودار بيننا الحديث وتشعب، ودفعني الفضول فسألتها عما يُقال لي بأن كل امرأة انجليزية لها صديق Boy Friend وأن كل رجل انجليزي له صديقة Girl Friend يستوي في ذلك العزاب والمتزوجون، فقالت: هذا صحيح، وهو ضرورة اجتماعية تخفف من قسوة الحياة ومتاعبها، والعلاقات الجنسية شيء عادي في مثل هذه الحالات؛ وللفتاة أن تستمر في علاقتها مع صديقها حتى بعد أن تتزوج غيره، ويتم ذلك بالتفاهم والاتفاق مع زوجها إذا سمحت له بدورها أن يستمر في علاقته بصديقته هو الآخر. ويغير الرجل صديقته وتغير المرأة صديقها حسب مقتضيات المزاج والظروف.

ومما قالته لي تلك المرأة: إن أي رجل يستطيع أن يطلب من أي امرأة يصادفها في الشارع أن تحدد له موعداً ومكاناً من أجل المتعة، دون أن يخشى منها سوء الرد أو الاستنكار، إنها ترى في هذا تكريماً لها وإعجاباً منه بجمالها وشخصيتها، فإن كانت راغبة في ذلك إجابته إلى طلبه، وإن لم ترغب أو لم تكن ظروفها تسمح بذلك اعتذرت إليه بلطف وشكرته بحرارة.

إنها شعبية الأخلاق، وديمقراطية الجنس، في بلاد الغرب..!! ولا يكاد يختلف فيها بلد غربي عن آخر.

ويعبر الفيلسوف الأمريكي «ول ديورانت» عن تخوفه من طغيان هذا الطوفان من الانحلال بقوله: عوامل شيطانية ثلاثة تحيط بنا اليوم: الأدب الفاحش الخليع الذي يزداد في وقاحته ورواجه منذ الحرب العالمية الأولى، والأفلام السينمائية التي لا تثير في الناس الشهوات البهيمية فحسب بل تلقنهم دروساً عملية فيها، وانحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء كما يبدو في ملابسهن وعريهن واختلاطهن بالرجال وإكثارهن من التدخين. ولا بد أن يكون مآل ذلك زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين وفناءهما، كما حدث من قبل للحضارة الرومانية والأمم الأخرى الذين أوردهم اتباع شهواتهم موارد الهلاك[1].

ومصداق قوله ما حدث في فرنسا في الحرب العالمية الثانية إذ استسلمت للألمان في أقل من أسبوعين، مع أنها كانت تملك أحدث الأسلحة وأفتكها مع تحصينات خط ماجينو الشهير، ولكنها لم تكن تملك الروح التي تحارب بها والكرامة التي تدافع عنها، بعد أن سرى فيها وباء الفساد الخلقي واستبد بها حيوان الجنس، فخافت على مراقصها وملاهيها ومسارحها ومواخيرها من قنابل الألمان[2].

هذا هو نجاح النظريات والأفكار التي طرحها ماركس وفرويد وسارتر ودوركايم في هزيمة المجتمع الغربي وتدميره، ووصوله إلى أقصى غايات الانحراف والانحلال والتمزق.

---

(١) الإسلام ومشكلات الحضارة: ص ١٥٣.
(٢) جاهلية القرن العشرين: ص ١٦٤.

٤ - الحضارة الغربية صليبية حاقدة:

وقفت أوربا من الإسلام ممثّلة بالكنيسة موقفاً صارماً عنيداً، وذلك بمقاومة وجوده فيها، لإحساسها العميق بالأثر الذي تركه في البلاد التي فتحها. قال المؤرخ الانجليزي «آرنولد توينبي»: عندما كانت حضارة الغرب تنحدر إلى الهاوية، في القرن السابع الميلادي، ظهرت الحضارة الإسلامية الفتية، فأصابت الغرب نوبة هستيرية، وأشد ما خشيه الغرب منها أنها تستند إلى مَثَل أعلى فوق المادة لا ينفع في دفعه ما لدى الغرب من أسلحة مادية ومن هنا كانت تلك الحملة الكبيرة التي قادتها البابوية ودعت ملوك أوربا لمؤازرتها فيها لمواجهة الإسلام وصده عن أوربا بالقضاء على وجوده في إسبانيا واقتحام حدوده من دولة بيزنطة ثم بإعلان الحروب الصليبية[١].

وقد وُلدت أوربا من خلال الحروب الصليبية، وكانت قبل ذلك جرمـــان وفرنسيين وأنكلوسكون ونورمـــان وإيطـــاليين ودنمـــاركيين وسلاف. ولكنهم اتحدوا في وجه الإسلام، ووُلدت أثناء ذلك المدنية الغربية، وأصبحت هدفاً واحداً تسعى إليه الشعوب الأوربية على السواء، وكانت تلك المدنية عداوة للإسلام. وكان ذلك أول عمل للوعي الأوربي الجماعي تعضده الكنيسة بلا قيد أو استثناء[٢].

إن الفظائع المروّعة التي اقترفها الصليبيون والتخريب والانحطاط اللذَيْن خلفوهما في بلاد الإسلام التي اجتاحوها ثم خسروها هي التي أنبتت البذور السامة لعداوة طويلة الأمد ولصلات متحرجة بين الشرق والغرب. ولولا ذلك لما كانت هناك ضرورة لمثل هذا الشعور، فقد

---

(١) الجندي: الإسلام والغرب ص ٤١.
(٢) محمد أسد: ص ٥٦.

أشاعوا منذ ذلك الحين أن الإسلام دين شهواني وعنف حيواني، وأنه يتمسك بفروض شكلية، وليس تزكية للقلوب وتطهيراً لها.

ومع العصور التي تبدلت فيها الأفكار الأوربية منذ العصور الصليبية بقي العداء للإسلام مستمراً، ومع أن الفيلسوف والشاعر الفرنسي «فولتير» كان من ألد أعداء المسيحية وكنيستها فإنه مع ذلك كان من ألد أعداء الإسلام ورسوله. وتسلل هذا الشعور الى بحوث المستشرقين وكتاباتهم تلقائياً ثم أصبح احتقار الإسلام جزءاً أصيلاً من التفكير الأوربي، وأصبحت كلمة «مسلم» تشيع في نفوس الأوربيين كل صنوف الحقد والكراهية.

ومن فظائع الصليبيين في العالم الإسلامي أن أهل قيسارية احتموا بجامع المدينة فلاحقهم الصليبيون وذبحوهم عن آخرهم: رجالاً ونساء وأطفالاً. داخل المسجد الذي تحول الى بركة من الدماء. وكانت مذبحة بيت المقدس لطخة عار في تاريخ الحملة الصليبية الأولى باعتراف الأوربيين، وقد أحرق «بلدوين» جامع الفرما ومساجدها؛ ويذكر «لوبون» أنه قتل في جامع عمر بالقدس عشرة آلاف مسلم. وفي إحدى الحملات نبش الصليبيون قبور المسلمين ومثّلوا بموتاهم وقد ارتكب لويس السابع وزوجته أليانور وريموند فضائح جنسية مشينة وقد وصف مؤرخو أوربا هذه الحملات بأنها بربرية همجية وقد وضع الرهبان خلالها على الصخرة زجاجات الخمر وقرعوا الناقوس في المسجد الأقصى بعد تعطيل الآذان فيه. ويضاف الى ذلك فظائع محاكم التفتيش في إسبانيا وأعمالها المزرية المخجلة. فإن ما لاقاه المسلمون فيها شيء أغرب من الخيال في التفنن في تعذيبهم والتنكيل بهم والتمثيل بهم مما يندى له جبين الإنسانية. ولم تحافظ المسيحية على اتفاقاتها مع مسلمي إسبانيا، فحرّمت عليهم الإسلام واستخدام اللغة العربية والأسماء العربية

واللباس العربي، ومن خالف ذلك فقد كان يُحرق حياً[1].

وكانت الحملة الفرنسية على مصر أول تجربة غربية بعد الحروب الصليبية لاقتحام العالم الإسلامي، مدعية أنها الحركة التي أيقظت العرب والمسلمين، مع أنها ظهرت بعد حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب بأكثر من خمسين سنة، وليست الحملة رسالة تمدين وحضارة كما ادعت، ولكنها تمثل الصراع من أجل المطامع بين الفرنسيين والانجليز وقد تمثّل فيها التعصب والحقد على الإسلام بدخول خيل الفرنسيين الجامع الأزهر وتحويل القاهرة الى بارات للجنود السكارى وإثارة النعرات بين المسلمين والأقباط. ولقد وجد الفرنسيون مقاومة عنيفة أدت الى هزيمتهم، وتمثلت هذه المقاومة بقتل «كليبر» خليفة نابليون من قبل مسلم غير مصري هو سليمان الحلبي، وتمثل حقد الفرنسيين على الإسلام ببشاعة الطريقة التي أعدموا بها هذا المناضل، فقد أعدموه على الخازوق بعد أن حرقوا يده حياً.

وتتجلى في الحملة الفرنسية مشكلة ازدواج الضمير التي تواجهها الحضارة الغربية، فجيش نابليون، أبناء الثورة الفرنسية، التي دعت الى الحرية والأخاء والمساواة، سرقوا في مصر وقتلوا وعذبوا، مما يؤكد أن الغربي في بلاده ملاك وفي خارج بلاده شيطان. وفرنسا هي التي نكلت بشعب الجزائر، وحولت مساجده الى كنائس كانت تعلق فوقها الصليب الحديدي وتحته عبارة «الصليب ينصرك» وقد جعلت شعار مدينة الجزائر صليباً ضخماً منتصراً على هلال صغير منكس فوق البحر وطبعته على طابع بريد نشرته في أنحاء العالم[2].

---

(١) جلال العالم: ص ١٢.

(٢) كشك: ص ٣٤.

هكذا رأت فرنسا أن احتلالها للجزائر هو انتصار للصليب على الهلال. ولم يكن غريباً أن يكون بعد ذلك أول لحن للجزائر بعد التحرير:

مبروك يا «محمد» عليك الجزائر رجعت إليك[١]

ويقول «ألن مورهيد» الكاتب الأمريكي في كتاب له بعنوان «النيل الأبيض» أو «تمرد المسلمين» وهو يؤرخ لثورتي عرابي في مصر والمهدي في السودان، وينهي تاريخه بفصل بعنوان «النصر المسيحي» يقول فيه: لقد انتهت هذه القلائل (عرابي والمهدي) بالهزيمة الساحقة للإسلام على ضفاف النيل[٢]. إنها أوربا القرن العشرين، لا زالت عند صليبيتها، وهذه الصليبية تشتد عاماً بعد عام.

ومن الطريف أن فرنسا من أجل القضاء على الروح الإسلامية في نفوس شباب الجزائر قد قامت بتجربة عملية بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات وأدخلتهن المدارس الفرنسية، وألبستهن الزي الفرنسي، فأصبحن كالفرنسيات تماماً، وبعد أحد عشر عاماً من الجهود أقامت لهن حفلة تخرج رائعة دعت إليها الوزراء والمفكرين والصحفيين، ولما ابتدأت الحفلة فوجىء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الجزائري الإسلامي، فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر خلال مائة وثمانية وعشرين عاماً؟! فأجاب «لاكوست» وزير المستعمرات الفرنسي: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟![٣].

---

(١) كشك: ص ٣٥

(٢) كشك: ص ٣٨.

(٣) جلال العالم: ص ٧٠.

وقد تعاونت قوى الاستعمار والصهيونية في وضع خطة لتدمير قوة الإسلام وإثارة العصبيات والقوميات والإقليميات في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وذلك بضرب المسلمين الأتراك بالمسلمين العرب عن طريق إثارة الدعوة «الطورانية»[1] ممثلة بجماعة الاتحاد والترقي، لتحويل الدولة المسلمة الى دولة عنصرية تحكم بالقانون السويسري بزعامة «كمال أتاتورك» وتعميق العداوة بين عنصري الدولة: الأتراك والعرب بدفع الاتحاديين الى التسلط على العرب وقمعهم وشنقهم بتدبير من لورنس لحساب الصهيونية، حتى تتمكن من العودة الى القدس بعد ثمانية عشر قرناً من هدم الرومان للهيكل وتشريد اليهود في جميع أنحاء العالم. وقد عملت تلك القوى المتحالفة (الصليبية والصهيونية) على الزج بالدولة العثمانية للدخول في الحرب العالمية الأولى في صف الألمان دون أن يكون لها أي مصلحة في ذلك سوى رغبة الغرب في تمزيق أي مظهر من مظاهر الوحدة الإسلامية وإقامة نظام غربي يستأصل الإسلام من هذه المناطق. وقد سعت روسيا من جانبها الى تحقيق حلم بطرس الأكبر في الزحف الى المياه الدافئة والوصول الى قلب العالم الإسلامي.

وقد تحالفت تلك القوى كذلك مع بلغاريا ورومانيا وفرنسا والنمسا وروسيا واليونان وإيطاليا لمحاربة الدولة العثمانية لحرمانها من الهدوء والاستقرار ولتضييق رقعة الإسلام في أوربا وتقطيع أوصال السلطنة.

---

(١) الطورانية: نزعة عنصرية وضع أيدلوجيتها المستشرق اليهودي المجري «فاميري» ما بين ١٨٦٨ - ١٨٧٤م وهو الذي أطلق عبارته المضللة «لا وطن في الاسلام» وفي عام ١٩١٦م ظهر كتاب ألفه «توني كاهون» اليهودي عن تاريخ المغول والاتراك منذ نشأتهم حتى عام ١٠٤٥هـ. وقد نوه به المجمع العلمي الفرنسي واتخذه جماعة الاتحاد والترقي دستوراً لهم في حركتهم العنصرية.

وقد نشطت الحركة الصهيونية، ولاسيما جماعة «الدونمة»[1] ضد العثمانيين بعد رفض السلطان عبد الحميد مطالبهم في فلسطين، فقاموا بالدعاية الفاجرة التي صورت الحكم في عاصمة الخلافة في أبشع صورة، من قلبٍ للحقائق، وإبراز للمساوىء، وطمس للمحاسن. وقد نجحوا في تلك الدعاية في أوربا والعالم بأسره، بينما طمسوا وحشية البلغار واليونان والفرنسيين والروس، وحركوا غريزة الطمع الاستعماري بالاستيلاء على ممتلكات الرجل المريض (تركيا). وقد صوروا «مدحت باشا» أكبر زعماء جماعة الاتحاد والترقي، وهو يهودي ماكر، على أنه حامل لواء الإصلاح والحرية في السلطنة، وسخروا صحف أوربا لإبراز أخباره ومنجزاته، مع أنه من ألد أعداء الإسلام. وقد تعالت صيحات استنكارهم حين عزله السلطان عبد الحميد ونفاه الى الطائف.

وقد أشعلت أيدي الفتنة الصهيونية الصليبية فتنة عام ١٨٦٠م بين الدروز والمسيحيين في لبنان، وألقت بتبعتها على الدولة العثمانية وعلى المسلمين. وذلك للحصول على امتيازات في بلاد المسلمين بحجة حماية النصارى.

وفي محادثات مؤتمر «لوزان» بعد الحرب العالمية الأولى، اشترطت انجلترا لانسحابها من تركيا عدة شروط منها: إلغاء الخلافة الإسلامية وقطع صلة تركيا بالإسلام، واستبدال الدستور المدني بالدستور

---

(١) الدونمه: ومعناها «المرتدون» وهم اليهود الذين تظاهروا بالإسلام بعد خروجهم من إسبانيا لتقويضه من الداخل وقد تجمعوا في سالونيك. وقد بدأت محاولاتهم للقضاء على الدولة الإسلامية منذ أيام السلطان مراد الثاني ومن بعده السلطان محمد الفاتح الذي اغتاله طبيبه اليهودي بالسم. ثم دبروا اغتيال أولاد سليمان القانوني وأحفاده الصغار. وقد تواصلت مؤامراتهم على العثمانيين. وبعد وصول المد الإسلامي الى أسوار فينا وضعت القوى الصليبية نفسها في خدمتهم ليسيروها في تحقيق أهدافهم في الهدم والتخريب.

الإسلامي، ولما نفذ «كمال أتاتورك»[1] ذلك انسحبت انجلترا. وقد واجه «كرزون» وزير خارجية انجلترا هجوماً في البرلمان من المعارضة على انسحاب انجلترا من تركيا التي ربما تستطيع معاودة مهاجمة أوربا إذا استطاعت جمع الدول الإسلامية حولها من جديد، فقال: «لقد قضينا على تركيا، ولن تقوم لها قائمة بعد اليوم لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الإسلام، والخلافة[2]. فصفقوا له وتركوه».

وفي اكتوبر ١٩١٧م قامت الثورة الشيوعية في روسيا بتدبير من المجلس الماسوني الأمريكي الذي يدير الحركة الماسونية العالمية، وذلك للإطاحة بإمبراطور روسيا حامي المسيحية فيها. وقد كان أربعة من مجلس الثورة (وهو عشرة أعضاء) من اليهود وإن نصف أعضاء الحزب الشيوعي الأمريكي من غلاة الصهيونية، ولهذا كانت روسيا ثاني دولة بعد أمريكا اعترافاً بإسرائيل. وحينما ناهضت الشيوعية الأديان غضت الطرف عن اليهودية، وبرّر لينين ذلك بأن اليهودية ضرورة لليهود البؤساء حتى يجتمعوا حولها فلا يذوبوا في الشعوب حتى ينالوا حقهم. وهو يؤيد فكرة اليهود بأنهم شعب الله المختار. ويرى (ماركس) أن المشكلة اليهودية لا تُحل نهائياً إلا بالتحويل الاشتراكي للعالم بأسره وإذابة الأديان والقوميات في بوتقة الماركسية (الشيوعية).

وقد أسست اليهودية الماركسية لتحويل العالم الى الاشتراكية، كما أسست الصهيونية لخداع العالم الغربي وكسب تأييده بإيهامه أنها تعمل

---

(١) أتاتورك: أول رئيس لجمهورية تركيا. ألغى الخلافة الإسلامية، ونادى بالعلمانية، وفصل الدين عن الدولة، وألغى المحاكم الشرعية، وأغلق المدارس الدينية، وأباح الاختلاط والسفور والملاهي، واستبدل الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وطمس وجه تركيا الإسلامي. وبعده أخذت تركيا تستأنف ببطء مسارها الإسلامي.

(٢) جلال العالم: ص ٦٧.

معه من أجل الاستراتيجية الغربية الدولية، وذلك لتسيطر الماركسية والصهيونية على العالم كله.

وقد كان «لينين» من مخططي الصهيونية وواضعي بروتوكولات حكماء صهيون، وقد حضر مؤتمر الحكماء في بال بسويسرا، كما أسلفنا. عام ١٨٩٧ م. وكان أول رئيس لروسيا الشيوعية هو الزعيم اليهودي كاسيمنيف وتبعه الإرهابي اليهودي سفرولوف وتبعهما زينوفيف. وقد ظهرت أول جماعة صهيونية عام ١٩٠٠م وكانت في روسيا وهي «عمال صهيون»[(١)].

وإن إعلان زعماء الشيوعية في عدة تصريحات أن الصهيونية حركة رجعية عنصرية عدوانية إنما هو لكسب أعداء الصهيونية ولحجب الرابطة العضوية بينهما، ولطمأنة زعماء الغرب الذين تسير الصهيونية في خطهم.

إن الشيوعية جناح أيديولوجي (عقائدي) للصهيونية العالمية، وثورتها في الحقيقة هي ثورة اليهود، ضد القيصرية. وكان اليهود هم المنفذين للاغتيالات السياسية فيها. وفي الحرب العالمية الثانية دفع يهود أمريكا الرئيس الأمريكي روزفلت الى معونة روسيا للقضاء على هتلر، عدو اليهود الأول.

وقد استطاعت الصهيونية إلهاب مشاعر الغرب بالعداء للإسلام، من حيث أنه هو الدين الوحيد الذي يشكل خطراً حقيقياً على وجوده فهو دين متحرك زاحف، يمتد بنفسه بلا قوة مساعدة. أما الديانات الأخرى كالبوذية والهندوكية فلا خطر منها، لأنها ديانات قومية، وهي أقل رقياً

---

(١) الجندي: «الإسلام والغرب» ص ٢٧٠.

من المسيحية واليهودية وبهذا تألبت على الإسلام قوى الغرب الثلاث: الاستعمار والصهيونية والشيوعية[1].

وما تزال بين الحين والحين تصدر تصريحات لزعماء الغرب تدعو الى تدمير الإسلام وتعلن عن روح الصليبية التي لا تفارق الغربيين.

قال: «أيوجين روستو» مستشار الرئيس الأمركي «جونسون» لشئون الشرق الأوسط، ورئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية: الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام، منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي. إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا جزء مكمل من العالم الغربي، فلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي. ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام؛ وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها[2].

وعندما احتلت الحملة الانجليزية القدس في الحرب العالمية الأولى قال قائدها «اللنبي»: الآن انتهت الحروب الصليبية. وقد هنأ لويد جورج اللنبي على إحرازه النصر في الحملة الصليبية الثامنة كما سماها[3].

---

(١) الجندي: «الاسلام والغرب» ص ٢٥٣ - ٢٧٧.

(٢) جلال العالم: ص ٣٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٣.

وعندما تغلب «الجنرال غورو» على جيش ميسلون قرب دمشق توجه إلى قبر صلاح الدين في الجامع الأموي وركله بقدمه وقال: ها قد عدنا يا صلاح الدين وقد زار جماعة من البرلمانيين الفرنسيين المسيو بيدو وزير خارجية فرنسا وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش فقال: إنها معركة بين الهلال والصليب[١].

وبعد سقوط القدس ١٩٦٧م قال راندولف تشيرتشل: لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء. إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود[٢]. وقد تجمهر اليهود حول حائط المبكي وصاروا يهتفون مع موشي دايان: يوم بيوم خيبر! يا لثارات خيبر! ثم تابعوا صيحاتهم: حُطّوا المشمش على التفاح! دين محمد ولّى وراح، ومحمد مات! خلّف بنات![٣] وفي هذه المناسبة قال محمد الفيتوري مخاطباً النبي ﷺ:

يا سيدي! عليك أفضل الصلاة والسلام!...
من أمةٍ مُضاعة!
تقذفها حضارة الخراب والظلام
يا سيدي! منذ ردمنا البحر بالسدود
وارتفعت ما بيننا وبينك الحدود
متنا! وداست فوقنا ماشية اليهود[٤]

---

(١) المصدر السابق: ص ٣٤.
(٢) المصدر السابق: ص ٣٥.
(٣) المصدر السابق ص : ٣٦.
(٤) جلال العالم: ص ٣٧.

وعشية حرب حزيران ١٩٦٧م خرج أعوان اسرائيل في فرنسا ومعهم لافتات سار تحتها الفيلسوف الفرنسي الوجودي جان بول سارتر وكتبوا عليها وعلى صناديق التبرعات: «اقتلوا المسلمين» فتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام وطبعت اسرائيل بطاقات معايدة كُتب عليها «هزيمة الهلال» بيعت بالملايين(١). كل ذلك لأن الصهاينة يواصلون رسالة الصليبية الأوربية في محاربة المسلمين وتدمير الحضارة الإسلامية.

وقال: «غلادستون» رئيس وزراء بريطانيا الأسبق: ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق(٢). وقال حاكم الجزائر الفرنسي في الذكرى المائة على احتلالها!: «إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم وأن نقتلع اللسان العربي من ألسنتهم(٣).

وقال: «بن غوريون» رئيس وزراء العدو الأسبق: أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد(٤). وقال إسحق رابين: «إن مشكلة الشعب اليهودي هي أن الإسلام ما زال في دور العدوان والتوسع وسيمضي وقت طويل قبل أن يترك الإسلام سيفه(٥).

---

(١) جلال العالم: ص ٣٨.
(٢) محمد أسد: ص ٤١.
(٣) جلال العالم: ص ٣٨.
(٤) جلال العالم: ص ٤٣.
(٥) جلال العالم: ص ٤٨.

وقال المستشرق غارديز: إن القوة الكامنة في الإسلام هي التي تخيف أوربا[١].

وقال مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي المعاصر» يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوتهم، لأن قوتهم تتصاحب دائما مع قوة الإسلام وانتشاره وعزته[٢].

وقال «هانوتو» وزير خارجية فرنسا: رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها فإن الخطر ما يزال موجوداً من انتفاض المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي أنزلناها بهم؛ لأن همتهم لم تخمد بعد[٣].

هذه أقوالهم شاهدة عليهم، ومن أفواههم ندينهم، دون أن يحتاج ذلك الى شرح أو تعليق؛ فقد أفتوا على أنفسهم.

٥ - التبشير والاستشراق في خدمة الصليبية والاستعمار:

يقف الأوربيون من المذاهب العالمية المعارضة لهم موقفاً عقلياً متزناً، إلا الإسلام فهم يقفون منه موقفاً عاطفياً متطرفاً، يتسم بالكره والحقد، حتى أن أبرز المستشرقين جعلوا من أنفسهم فريسة للتحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام، فلم ينظروا إليه على أنه موضوع بحث ودراسة، بل على أنه متهم، وجعلوا من أنفسهم «المدعي العام» الذي يحاول إثبات الجريمة، فهم في كل مسألة يبدأون باستنتاج متفق عليه من قبل قد أملاه التعصب، ويختارون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يريدون الوصول إليه؛ ويعمدون إلى اقتطاع أجزاء من الحقيقة ويعزلونها عن

---

(١) جلال العالم: ص ٥٠.

(٢)و(٣) المصدر السابق: ص ٥٥.

المَتْن (النص) ليستشهدوا بها، ويؤوّلون الشهادات بروح غير علمي من سوء القصد. ولذلك جاءت كتاباتهم صوراً مشوّهة عن الإسلام.

إن في العقل الغربي ميلاً عن الإسلام، من حيث هو دين، ومن حيث هو ثقافة. ويرجع ذلك إلى إرثهم من اليونان والرومان، وإلى حقدهم منذ الحروب الصليبية.

والمستشرقون الأوائل كانوا مبشرين نصارى، اصطنعوا صورة مشوهة عن تعاليم الإسلام وتاريخه وحضارته. ومع أن الاستشراق قد تحرر من قيود التبشير فإن هذا الشعور قد استمر. إن تحامل المستشرقين على الإسلام غريزة موروثة، وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلقتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوربيين.

وقد يظن البعض أن حدة العداوة الأوربية للإسلام قد خفت الآن، والواقع أن أوربا أبعد ما تكون عن ذلك؛ وهذا الشعور مردّه لقلة اكتراثها بالإسلام الآن، بعد أن أصبح قوة لا يُخشى منها، بسبب تفكك المسلمين وضعفهم.

وللاستشراق دوافع متعددة: دينية تبشيرية، وسياسية استعمارية، وعلمية، وتجارية شخصية. فهو يهدف إلى تشويه الإسلام وصرف الغربيين عنه، حتى لا ينقدوا ما عندهم من كتب، بعد أن زلزلت الحضارة الجديدة عقيدتهم وأخلاقهم. ويهدف كذلك إلى تشويه الإسلام في رواد الثقافة الغربية من شباب المسلمين لإضعاف عقيدتهم وإيمانهم، وتشكيكهم في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية. ويؤكد هذه الحقيقة قول «ماسينيون» الأستاذ الجامعي والمبشر في قسم الشئون الشرقية بوزارة المستعمرات الفرنسية: إنَّ الطلاب الشرقيين الذين يأتون

إلى فرنسا يجب أن يلوّنوا بالمدنية المسيحية[1]. وكان يدعو المسلمين إلى الاعتقاد بأن عيسى بن مريم (عليه السلام) هو عيسى ابن الله - تعالى الله عن ذلك - ما داموا يعتقدون بعودته في آخر الزمان، وهو من أنصار الكتابة بالعامية واللاتينية، وروّج لذلك في المغرب وفي مصر وسوريا ولبنان. وقد ذهب «هاملتون جِب» مذهبه حين قال: «إذا أردنا أن نعرف المقياس الحقيقي للنفوذ الغربي ومدى تغلغل الثقافة الغربية في الإسلام: علينا أن ننظر إلى ما وراء المظاهر السطحية، وأن نبحث عن الآراء الجديدة، والحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية بعد أن تُهضم وتصبح جزءاً حقيقياً من كيان الدولة الإسلامية[2]» وقد وضع «جب» مع جماعة من المستشرقين، اختلفوا في جنسياتهم ومذاهبهم، ولكنهم اتفقوا في وضع كتابهم الضخم «إلى أين يتجه الإسلام» خططوا فيه لقهر الإسلام ومحو حضارته ومظاهره من الوجود، باعتباره عدوهم اللدود.

وكثيرون هم المستشرقون الذين أمضوا فترة من حياتهم في بلاد المسلمين، وتظاهر كثير منهم بالإسلام، ثم عادوا إلى بلادهم ينفثون سمومهم عن الإسلام والمسلمين.

وقد التقت في الاستشراق مصالح المبشرين والمستعمرين، فسهل كلٌّ منهم مهمة الآخر بشتى وسائل الدعم المادي والمعنوي. وفي كل السفارات الغربية في بلاد الشرق سكرتير أو ملحق ثقافي يُحسن العربية ليمكنه التعرف على التيارات الفكرية والصحفية والثقافية ليبثّ الاتجاهات التي تريدها دولته.

---

(١) الخطيب: «لمحات في الثقافة الإسلامية» ص ١٩٢.
(٢) المصدر السابق: ص ١٩٥.

وهناك نفر قليل دفعهم إلى الاستشراق حب الاطلاع على ثقافة الأمم المختلفة وحضارتها وتاريخها. وأبحاث هؤلاء أقرب إلى الحق والصواب من أبحاث المتعصبين. وقد اهتدى بعضهم إلى الإسلام، وهم قلّة، بعد دراسته له واقتناعه العقلي والقلبي به وعلى رأس هؤلاء يلقانا المستشرق النمسوي «ليوبولد فايس» الذي اعتنق الإسلام وتسمى باسم «محمد أسد» ووضع كتابه القيم «الإسلام على مفترق الطرق».

ويتخذ المستشرقون وسائل عدة لنشر آرائهم وأفكارهم ككتابة البحوث وتأليف الكتب وإرساليات التبشير، والمحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، وعقد المؤتمرات، وإصدار المجلات المتخصصة والدوريات، وإنشاء دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات، وقد حرّر موادها أكثر غلاة المستشرقين عداء للإسلام، فجاءت مليئة بالدس والتضليل والأباطيل ومع ذلك فهي مرجع وحجة لدى مثقفينا وباحثينا في ما تتحدث عنه، لجهلهم بالثقافة الإسلامية، ولعقدة النقص عندهم. وأخطر ما يفعله المسلمون اليوم أنهم يستوردون المستشرقين يتعلمون منهم اللغة العربية وحضارة الإسلام وأصوله؛ مع أن كل أصحاب الديانات لا يسمحون لأحد من غير دينهم أن يتدخل في كل ما يتعلق بشئون عقيدتهم وأمور دينهم وتاريخه. وعندما وضع أعداؤنا اليهود موسوعتهم لم يسمحوا لمسلم أو مسيحي أو غير يهودي أن يكتب فيها مادة واحدة. وقد ترجموا التوراة بأنفسهم، ولم يلتفتوا إلى أي ترجمة أخرى غير يهودية.

وحركة التبشير سابقة على حركة الاستشراق، وكانت تساندها وتدعمها كل قوى الغرب والصهيونية الحاقدة على الإسلام، وكانت وراء كل المصائب والنكبات والكوارث التي حلت بالمسلمين في غينيا ومالي وزنجبار وأوغندة وأريتريا والحبشة والسودان ومصر ولبنان والعراق، وسائر بلدان إفريقيا وآسيا التي ابتليت بهم وتعرضت لمكائدهم

ودسائسهم ومؤامراتهم من تعذيب جماعي ومجازر بالجملة، ومصادرة للأموال والممتلكات والحقوق والحريات، وانتهاك لحرمة الأعراض والمقدسات، وإثارة للفتن والقلاقل وتحريض على العصيان والتمرد وإذكاء للحروب الأهلية.. والإسلام دائما هو الهدف.

وعندما أدركت دوائر التبشير الغربية أن التبشير الرسمي غير مُجدٍ، لجأت إلى التستر وراء الأعمال الخيرية الإنسانية المزعومة كالمدارس والمستشفيات والملاجىء والنوادي والجمعيات. وتنفق تلك الدوائر سنوياً ملايين الجنيهات والدولارات، والهدف دائما - أيضاً - هو الإسلام.

وقد أدركت دوائر التبشير أن للمدارس قوة تجعل الشباب المسلم تحت تأثير التعليم المسيحي أكبر من أية قوة أخرى. ويستمر هذا التأثير حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة في أوطانهم.

وفي هذا الصدد يقول «بنروز» رئيس الجامعة الأمريكية (١٩٤٨ م): التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان. ومن أجل ذلك تقرر أن يُختار رئيس الكلية البروتستانتية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية) من مبشري الإرسالية السورية[١].

ويقول المبشر «جون موت»: إنّ الأمر المفسد في الإسلام يبدأ مبكراً جداً، من أجل ذلك يجب أن يُحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية[٢].

---

(١) الصواف: ص ٢١٤.
(٢) الصواف: ص ٢١٥.

ويقول المبشر «جسب»: إن مدارس البنات في بلاد الشام هي بؤبؤ عيني. إن مستقبل الأمر في سوريا هو بمنهج تعليم بناتها ونسائها[1].

ويقول المبشر «تاكلي»: يجب أن نشجع مدارس التعليم الغربي، إنَّ كثيرين من المسلمين قد زُعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانجليزية، إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً[2].

وقال «زويمر» رئيس مؤتمر المبشرين الذي انعقد في القدس أيام الانتداب البريطاني: إنكم أعددتم جيلاً من أبناء المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تُدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحي، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات: فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء»[3]. والتبشير بذلك مرتبط بالاستعمار ومهمته إفسادية وليست دينية.

ويهتم المبشرون بالمرأة، لأن الوصول إليها بالتبشير وصول إلى الأسرة كلها. فالمرأة لها تأثير فعال على أبنائها، ولاسيما دون سن العاشرة، وهي كذلك العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة، فهزيمتها عقائدياً هزيمة لمعقل حصين من معاقل الإسلام.

---

(١) الصواف: «المخططات العالمية لمكافحة الإسلام» ص ٢١٣.
(٢) الصواف: ص ٢١٦.
(٣) الصواف: المخططات العالمية لمكافحة الإسلام ص ٢١٨.

الفَصْل الثَّاني

الآثار السَّلبيَّة للحضارة الغربيَّة على الشَّباب المُسلِم

١ - هدم الدين ونشر الإلحاد.
٢ - هدم اللغة العربية وآدابها.
٣ - هدم الشعور بالوحدة الإسلامية ومقوماتها.
٤ - هدم التربية والتعليم.
٥ - هدم الأخلاق.

١ - هدم الدين ونشر الإلحاد:

وُجد في بلاد الشرق الإسلامي من يدعو إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية وكان بعضهم من المسيحيين الشاميين المقيمين بمصر، وبعضهم من المصريين الذين تلقوا دراستهم في أوربا أو في المدارس الأوربية بمصر أو مـدارس الإرساليـات الـدينيـة. وكـانوا موزعين بين النفوذ الفرنسي والنفوذ الانجليزي. وقد مثلت صحيفة الأهرام الاتجاه الأول، بينما مثلت «المقطم» و«المقتطف» الاتجاه الثاني[١]. وكانت جميعها دائبة على التعريف بالفلسفة والثقافة والآداب الغربية، لا تكاد تشير إلى شيء من تاريخ الشرق وتراثه الفكري. وكانت تعمل من طرف خفي على إضعاف الروح الدينية والوطنية بما تنشر من آراء تشكك في العقيدة، وما تدعو إليه من نزعات عالمية مضللة، كالماسونية، التي دعت إلى إلغاء العصبيات الدينية والوطنية حتى لا تبقى إلا العصبية اليهودية ديناً وقومية؛ وروّجت الدعوة إلى الإخاء الإنساني فأوقعت في حبائلها كثيراً من الشباب البريء، وخاصة الضعيف الذي كان يلتمس العطف.

كان الذين نشأوا على الحضارة الغربية يعرفون عن تاريخ انجلترا وفرنسا أضعاف ما يعرفونه عن تاريخ العرب والمسلمين، ويعرفون عن تاريخ الكنيسة وتعدد مذاهبها ما لا يعرفونه عن تاريخ الفقه الإسلامي، ويعرفون عن أعلام الأدب والفكر الأوربي ما لا يعرفونه عن أعلام الأدب العربي والفكر الإسلامي، ويعيشون في بيوتهم حياة يحاكون فيها

---

(١) محمد حسين: ص ٢/٢٥٦.

الحياة الأوربية وبذلك توثقت الصلات الأدبية والفكرية والروحية والفنيـة بينهم وبين الغرب، في الوقـت الـذي انقطعت فيـه أو كـادت صلاتهم بالشرق والإسلام.

وباسم العلم والعلمانية وحرية الفكر والتحرر من عبودية التقليد كثر الطعن في الإيمان بالغيب والتشكيك في كل ما يخرج عن دائرة المحسوس من قضايا الدين، واعتباره ضرباً من الأوهام. ونشطت الدعوة إلى الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس والعقل، ونبذ كل ما لا تؤيده التجربة والتحرر من العواطف الدينية للوصول الى أحكـام موضوعية محايدة.

وكـان كثير من المجلات مسرحاً لعرض هذه الدعوة. ومنها دعوتها إلى الديانة الإنسانية الجديدة، التي انتشرت في أمريكا، والتي تذهب إلى أن مسألة وجود الله أو عدم وجوده ليست جوهرية، فالمهم أن يعمل الإنسان ما هو صالح في هذا العالم لتحسينه، وجَعْله فردوساً حقيقياً؛ أما الاعتقاد بفردوس آخر، وأن الإنسان نزيل فانٍ على هذه الأرض فهذا تحريض على احتقار الحياة، وتصويرها بأبشع صورها، حتى تصبح جحيماً لا يطاق[١].

وفي سلسلة مقالات في مجلة الهلال ذهب سامي الجرديني إل أن ميزة الحضارة الغربية: النظام والحرية؛ وأبرز مظاهر هذه الحرية حرية الضمير والعقيدة، ولا معنى للحرية في أن يعكف الناس على قانون وُضع منذ أكثر من ألف عام، لا يملكون حرية تعديله أو تغييره أو تكييفه أو تبديله[٢].

---

(١) محمد حسين: ص ٢/٢٩٣.
(٢) المصدر السابق: ص ٢/٢٩٤.

وفي عام ١٩٢٦ م صدر كتاب « في الشعر الجاهلي » لطه حسين ، وقد دعا فيه إلى تطبيق مذهب الشك الذي نادى به « ديكارت » على الدراسات الأدبية والدينية ، وإخضاعها لمنطق العلم والتجرد من الاعتبارات الدينية والوطنية ، وما قد قيل حولها من قبل؛ ولتكن النتيجة بعد ذلك ما تكون: للأدب العربي أو عليه ، وللإسلام أو عليه ، وللعرب أو عليهم.

وبنى شكه في الشعر الجاهلي على أنه لا يمثل الحياة الدينية أو العقلية أو اللغوية للعصر الجاهلي ، وقد تناول هجرة « إبراهيم وإسماعيل » عليهما السلام إلى مكة بالشك ، وذهب إلى أن ورودهما في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلاً عن إثبات قصة هجرتهما. وهو يرى في القصة حيلة لإثبات الصلة بين العرب واليهود ، وبين الإسلام واليهودية ، وبين القرآن والتوراة ، وأنها قصة جديدة ظهرت قبيل الإسلام ، واستغلها الإسلام لسبب ديني ، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً[١].

وقد أثار هذا الكتاب ضجة في الرأي العام والصحف والمجلس النيابي والجامع الأزهر؛ وتمخض ذلك عن سبعة كتب تهاجم الكتاب ومؤلفه ، وترد عليه وتدحض آراءه ، وتتهمه بإفساد شباب الجامعة.

وكان أكثر ما يؤخذ عليه: وضعه القرآن خاصة ، والكتب السماوية موضع النقد والمناقشة ، وذلك حين قارن بين المكي والمدني في آيات القرآن الكريم ، فأخضعه لظروف البيئة ، وأراد أن يعتبره نصاً « أرضياً » يخضع لكل ما تخضع له النصوص الأدبية من مؤثرات[٢].

---

(١) محمد حسين: ص ٢٩٩/٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٠٤/٢.

وخطورة آراء «طه حسين» في أنها ترضي نزعات الشباب وغروره بأنه قد أصبح من الذكاء والنضج العقلي بحيث يستطيع أن يناقش كل شيء، وأن يُخضع كل جليل ودقيق لتفكيره، وأن يثور على كل شيء ويتمرد على نظام أو قانون لا يرى أن عقله يقبله.

وعاش في مصر منذ أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن كثيرون من أعداء الإسلام والمبشرين بالحضارة الغربية، يحملون معاول الهدم والتخريب في حضارتنا وثقافتنا. وفي طليعة أولئك: سلامة موسى عدو الإسلام وحضارته واللغة العربية وآدابها، والذي تمَّ إعداده في الغرب جيداً للقيام بهذا الدور. وقد بلغ من حقده أنه يوم إعلان الوحدة بين مصر وسوريا سقط مريضاً ثم أدخل المستشفى ولم يخرج إلا إلى قبره بعد ثلاثة أسابيع. وكان في مؤلفاته يلح بإصرار على ضرورة التخلص من الفكر الديني. ووصف محمد حسين هيكل في مؤلفاته من مثل: «حياة محمد» و «في منزل الوحي» بأنه أجتر أفكاراً بالية. وقد هاجم الإسلام وفضل عليه المسيحية، وذهب إلى أنه يكاد يكون مذهباً من المسيحية. وكان يرى أن الكنيسة القبطية المصرية رمز تاريخ المعذب، ويصف الأزهر بالرجعية ويصف الكنيسة بالتقدمية وهو يشيد بأساتذته من أعداء الإسلام من مثل: يعقوب صرّوف وفرح أنطون وشبلي شميل. وقد تنبأ له المستشرق «جِب» بأنه سيكون له أثر على الشباب المسلم والمسيحي[١]. وبعد موته أشاد به كثير من أمثاله وفي مقدمتهم «غالي شكري» الذي سنعود إليه فيما بعد.

---

(١) كشك: ص ١٤٣.

أما شبلي شميل، فهو لبناني ملحد. ويكفي للتعريف به أنه زعيم فكرة التطور والنشوء والارتقاء الداروينية في العالم الإسلامي، وقد نقل رحاها من الغرب إلى بلاد الشرق؛ وأنه لم يكن يؤمن بغير العلم العملي وحده[1].

أما يعقوب صرّوف، فهو حاقد على الإسلام، روّج للاحتلال الانجليزي على صفحات «المقطم» و«المقتطف» التي أنشأها ١٨٧٣م لتنادي بالعلم العملي والعلمانية[2]، وتعاون مع الانجليز في تقويض مُلك العثمانيين[3].

وفرح أنطون عميل إنجليزي، طائفي متعصب، يروّج له مريدوه أنه مؤسس الرومانسية الثورية بكتاباته على صفحات «الجامعة». وقد أعلن بصراحة أنّ حكم المسيحيين أفضل من حكم أي دولة مسلمة. وقد رد عليه الشيخ محمد عبده - مع تسامحه - فعرّاه وفضحه وأفلست «الجامعة» رغم دعم الاحتلال لها؛ فاضطر إلى إغلاقها وهاجر إلى أمريكا. لقد كان ضالعاً مع الإنجليز، وعيناً لهم على كل نشاط حر[4]. ويُبدي «مارون عبود» في كتابه «رواد النهضة الحديثة» إعجابه به ويصفه بأنه أول من عرّف الشرق الأدنى ببوذا وكنفوشيوس وأطلعهم على شرائع حورابي، وأول من أذاع فلسفة تولستوي وأول من نشر تعاليم روسو ونيتشه وهو الذي اكتشف تعاليم «كارل ماركس» قبل أن تحمرَّ روسيا البيضاء. وظاهَرَ قاسم أمين في معركة تحرير المرأة. ترجم الكثير من عظماء الغرب وحث الناس على الاقتداء بهم ووصفهم بأنهم آلهة

---

(١) عبود: ص ٢٥٥.
(٢) كشك: ص ١٤٣.
(٣) كشك: ص ١٤٥.
(٤) عبود: ص ٢٦٩.

الناس في هذه الدنيا وكان شعاره على الدوام «المجد للعلماء»[1].

أما غالي شكري: فحدّث عنه ولا حرج؛ ناقد مصري ماركسي، يصف الشيوعية بأنها امتداد أكثر ازدهاراً للأفكار التقدمية. وبادعائه التقدمية يطعن في الإسلام، بمناسبة وبدون مناسبة؛ ويحاول محوه من تاريخنا الحديث، وينكر أي أثر له في تراثنا وفي الحضارة الإنسانية. تربى في مدارس التبشير. ومن أقواله: مصر الفرعونية التي اندثرت منذ عشرين قرناً تعيش في دمي، ومصر القبطية التي دامت سبعة قرون تشكل مصيري، أما أذان الإسلام الذي يتردد خمس مرات من نصف ألف مئذنة في القاهرة فلم نتأثر به ولا يجوز نسبته لمصر[2]. ولا يخجل من قوله: التركة التي ورثها مجتمعنا على مدى الأجيال: المواخير والدعارة في عصر الرشيد والمأمون والمعتصم والمتوكل والعصر البويهي وعصر الفاطمية[3].

وهو يربط بين الفساد والفجور والدعارة وبين تعدد الزوجات؛ وسهولة الطلاق في الإسلام. ناسياً أن الأمر بالعكس تماماً، كما تقرره مبادىء علم النفس الاجتماعي، مع أن العلاقات الجنسية في ظل الإسلام قد وصلت إلى ذروة السمو والإنسانية القائمة على التكافؤ والاختيار الحر والإرادة الحرة. ويمكن القول بأن المفاسد تتبع زواجاً غير متكافىء، أو زوجين تحت رباط زوجي لا حيلة لهما فيه، ولا يملكان الفكاك منه، كما يحصل في المجتمعات الغربية. وقد أدرك الغربيون ذلك فرضخوا - حتى الكاثوليك منهم - لحق الطلاق.

---

(١) عبود: ص ٢٧٠.
(٢) كشك: ص ٤٦.
(٣) المصدر السابق: ص ٤٧.

ويربط كذلك بين الملكية الجماعية لوسائل الانتاج والزواج الجماعي حيث لم تبرز العلاقة الجنسية كمشكلة بين الأفراد[١] (بالطبع ما دام الجميع يتسافدون كالحمير).

ثم ينتقل إلى مرحلة الزواج الحالي بقوله: فما أن دخل المجتمع الإنساني في مرحلة جديدة في ظل الملكية الفردية لوسائل الانتاج حتى أصبحت المرأة في وضع مهين، لأن المساواة الاقتصادية بينهما تخضع لاعتبارات لم تكن موجودة من قبل.

ويربط بين تعدد الزوجات أيضاً والرق بقوله: ونظرة سريعة، إلى تطور التاريخ البشري نلحظ أن الرق كان بداية عصر تعدد الزوجات فإذا جاءنا كتاب ديني ليصور ذلك المجتمع الجديد وجب أن ندرسه من هذه الزاوية التاريخية، أما أن نطبق هذه القيم على مجتمعاتنا الحديثة فكأننا نقوم بعملية انتحارية تهدف إلى أن تزج بمجتمعنا الكبير داخل صناديق حديدية صغيرة لا تتسع إلا للدمى، فما كان يتسع لطفولة الجنس البشري لا ريب أنه يضيق عليه في شبابه. ونحن لا ننسى أنه يوجد بيننا رجال دين - أي كهنة - يرون أن من مصلحتهم البقائية تجميد مجتمعنا أو تحنيطه في تلك الأُطر العتيقة. ولكن التقدم العلمي لا يُتيح لنا أن نُقبّل هذه الأيدي وننحني لأصحابها، وإنما يجب أن ندفن الكهنة بصناديقهم في متحف تاريخنا، فليس مما يتلاءم مع طورنا الصناعي الوليد - حيث تنال المرأة قدراً من الحرية الاقتصادية - أن تبقى في وضع مهين يسمح لزوجها أن يحيل بيته إلى فراش مكيّف لعدة نساء في وقت واحد ويضيء له النور الأحمر كتاب السماء[٢]. إن المرأة الحديثة

---

(١) كشك: ص ٥٠.
(٢) المصدر السابق: ص ٥٣.

لن ترضى بهذا الهوان، وستُعطّل النص الكهنوتي بحركة ذاتية لأن الرجل في أزمة الرأسمالية المعاصرة لن يقوى بدوره على ارتداء هذا الزي الأثري، زي هرون الرشيد[1].

إن المسلمين في نظر غالي شكري - المسيحي الماركسي - كهنة يجب دفنهم وإن شريعة الإسلام أُطُر عتيقة بالية، وإن آيات القرآن الكريم نصوص كهنوتية: وقد تابع سلامة موسى في ما ذهب إليه من أنّ هيكل يجتر أفكاراً بالية في «حياة محمد» وفي «في منزل الوحي» كما هاجم مؤلفات «عبد الحميد جودة السحار» من مثل: «بلال مؤذن الرسول» و«سعد بن أبي وقاص» و«أبناء أبي بكر الصديق» و«أهل البيت» و«قصص من الكتب المقدسة» و«قصص الأنبياء» و«قصص السيرة النبوية» و«قصص الخلفاء الراشدين» ويصفها بأنها قيم قديمة من المثاليات والأديان والسماويات ويعيب عليه كثرة ما تخللها من الآيات القرآنية التي استشهد بها، وهو بذلك يحذو حذو سلامة موسى أيضاً في هجومه على عبقريات العقاد من قبل.

ثم يهاجم الحضارة الإسلامية بقوله: لم تعد حضارتنا قاصرة على كتب الدين نقدمها هدية إلى أوربا لنجذبها من حظيرة الشيطان إلى حقل الإيمان، فهي تنفق ملايين الجنيهات على الكتاب المقدس والفلسفات اللاهوتية ومعاهد التعليم الغيبي، وليست بحاجة إلى أنبياء جدد من الشرق، ولم يَعُد الشرق نفسه شرقاً[3].

---

(١) كشك: ص ٥٤.
(٢) المصدر السابق: ص ٥٥.
(٣) المصدر السابق: ص ٥٩.

إنها كلمات مارق ملحد مختل العقل يستخلص من مقدمات صحيحة نتائج مغلوطة. فما دامت أوربا تفعل ذلك فلماذا لا نفعل مثلها. ومتى كانت حضارتنا مقتصرة على كتب الدين؟! ومتى كان الشرق مقتصراً على الرسالات السماوية فقط!؟ أين إذن حضارة الإسلام العلمية؟! وأين علماؤه الذين قدموا للغرب خلاصة الفكر الإنساني وأساس نهضته المعاصرة؟!

وقد نشر غالي شكري آراءه تلك وغيرها في مجلة «الكاتب» ١٩٦٣م[١] وفي هذه الفترة وُجد من يتبنّى دعوة الغرب إلى فصل الدين عن الحياة وهم الليبراليون (المتحررون) الذين قارنوا حال الشرق بحال أوربا في مستهل عصر النهضة وأنها نهضت بعد التحرر من نفوذ الكنيسة، فاعتبروا الدين عائقاً لكل تقدم. وكان من وراء هؤلاء قوة خفية تدعمهم وتشجعهم بالأكاذيب وتزوير الوقائع باسم الدفاع عن الحرية والمظلومين، وأبرز هؤلاء الصهيونية العالمية، التي يُعتبر إفساد التفكير الإسلامي من أهم أهدافها.

ويصور هذا الاتجاه الفكري عبد القادر حمزة وكتاباته في «المقتطف» ١٩٠٦م كما يمثله «عبد الرحمن الكواكبي» في كتابه «أم القرى» الذي دعا فيه إلى فصل الخلافة عن السلطة، بجعل الخلافة في العرب والسلطة (الحكم) في الترك. ولم يخلُ كتابه من دعوة صريحة إلى موالاة الدول الأوربية والسير في ركابها والتودد إليها وتهوين احتلالها لأرض المسلمين والدعوة إلى إسقاط الجهاد[٢].

---

(١) كشك: ص ٦١.

(٢) محمد حسين: ص ٢/٢٨٢.

ويمثل هذا الاتجاه أيضاً « سليمان البستاني » في كتابه « ذكرى وعبرة » ١٩٠٨م، وقد صور فيه فساد الحكم العثماني قبل الدستور وآمال اللبنانيين على العهد الجديد الذي وضع حداً للظلم والفوضى كما يقول[١].

وقد ذهب المستشرقون والمبشرون ومن شايعهم ومن تأثر بهم بقصد أو بحسن نية إلى أن الشريعة الإسلامية بدائية، تناسب البدو الذين ظهرت فيهم، ولذلك قالوا بوجوب تطويرها لتناسب تقاليد العصر والبيئات المختلفة.

وقد ذهب قاسم أمين إلى أن التشريعات أصول عامة ولكل بيئة أو زمن أن يفرع منها ما يناسب ظروفه.

وتُعتبر دعوة الشيخ محمد عبده وتلاميذه إلى الملاءمة بين الإسلام وظروف القرن العشرين تأثراً غير مباشر بدعوة الغربيين إلى إخضاع الدين للتطور حسب مقتضيات البيئة، حتى يكثر فيه دعاة التجدد، كلٌ حسب ميله وهواه وظروف بيئته، وبذلك تتفكك الوحدة الإسلامية ويتلاشى خطرها الذي يحسب له الغرب كل حساب، لأنه يدرك أن أسباب انتشار الإسلام هي أنه قد أنشأ حضارة موحدة لم تتأثر بالعناصر الإقليمية والثقافية المختلفة؛ وكان الإسلام كذلك نظاماً شاملاً للحياة كاملاً في معالجة شئونها المختلفة، وأن اتساع رقعة العالم الإسلامي من المحيط الأطلسي وحتى المحيط الهادي لم تؤثر في وحدته الحضارية، هذه الوحدة التي يسعى الغرب لتفكيكها، ولأجل ذلك تعاطف « كرومر » المندوب السامي في مصر مع الشيخ محمد عبده، وسجل ذلك في كتابه « مصر الحديثة »[٢]. والذي ذكر فيه أن الخديوي توفيق لم

---

(١) محمد حسين: ص ٢٨٤.
(٢) المصدر السابق: ص ٣٠٧.

يعفُ عنه ولم يعينه قاضياً إلا تحت ضغط بريطانيا، وإنه لولا عون كرومر لم يكن ليحتفظ بمنصبه في الإفتاء. ويقول كرومر إنه قد أسس في مصر مدرسة فكرية حديثة تشبه المدرسة التي أسسها أحمد خان في الهند في جامعة «عليكرة» وإنّ أهميته تكمن في أنه يُقرب الهوّة التي تفصل بين الغرب والمسلمين، وإنه وتلاميذه خلفاء طبيعيون للمصلح الأوربي[1].

ويعلق «نيومان» على آراء كرومر (١٩٢٨م): إن آراء محمد عبده تتسرب ببطء إلى أدمغة المسئولين المصريين، فقد تحرر العالم خلال قرون، بينما ظل الإسلام واقفاً في مكانه لا يتحرك، فإذا أمكن أن يتطور مع الزمن المتطور بدلاً من الارتباط بعالم خيالي لا يسمح للتطور الزمني أن يتطرق إليه وقد تراكم عليه نسج العنكبوت منذ فرار محمد من مكة. عند ذلك سوف تصبح يقظة الشرق حقيقة واقعة وليست أضغاث أحلام، وعند ذلك سوف يتحرر ملايين البشر من هذه العقائد الأثرية الشيباء، ليأخذوا مكانهم بين الحركات الحديثة[2].

إن هذه الدعوة تضر بالمسلمين وتخدم مصالح المستعمرين، لأن وظيفة الدين هي إصلاح المجتمع ورده إلى الطريق المستقيم كلما زاغ عن القصد وانحرفت به الشهوات، أما الزعم بوجوب تطويره ليلائم كل عصر وكل بيئة فإن هذا يُفقده وظيفته، لأنه سيصبح تبعاً للحياة، يستقيم باستقامتها ويعوجّ باعوجاجها، فينقاد لها بدلاً من أن يقودها. ثم إن الشك في شمول الشريعة وكمالها وصلاحيتها لكل زمان ومكان يخرج من حظيرة الإسلام إلى الكفر.

---

(١) محمد حسين: ص ٢/٢٠٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢/٣٠٨.

ومن مظاهر هذه الدعوة: حركة تحرير المرأة، وتعديل قانون الأحوال الشخصية بما يناسبها بتقييد تعدد الزوجات وتقييد الطلاق ومساواة المرأة والرجل في الميراث، والتساهل في بعض الأمور الدينية باسم سعة الأفق والمرونة الفكرية، والتحرر، والتقدمية. بينما وُصف المتمسكون بالدين بالتزمت والجمود والرجعية.

وروّج لهذه الدعوات ما كانت ترويه الصحف عما كان يجري في تركيا باسم تجديد الإسلام، على يد الاتحاديين، ثم الكماليين، أو ما يسمى بالإسلام الجمهوري. ويصور ذلك نشر ما جاء في الكتاب التركي (قوم جديد) من أن الصيام والصلاة والزكاة والحج والعمل بكتب أئمة الفقه هو دين قدماء المسلمين الذين يعبر عنهم الكتاب (قوم عتيق) وأن أركان دين (قوم جديد) هي العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة والجهاد تحت إمرة أنور ورضا وأسعد وجاويد ورؤوف، صلى الله تعالى عليهم - كما يقول المؤلف - وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة - في رأيه -[1]. والجدير بالذكر أن أحد هؤلاء المشمولين بصلاة الله - كما أراد المؤلف - عليهم، وهو جاويد، يهودي. وكان وزيراً للمالية في حكومة الاتحاديين.

وفي مقال لمحمد عبد الله عنان، في مجلة السياسة الأسبوعية (١٩٢٧م) بعنوان «مهمة رجال الدين وكيف نهض بها كهنة فرنسا» حيث اتخذ من رجال الدين المسيحيين نموذجاً لما يجب أن يكون عليه علماء الدين المسلمون[2].

---

(١) محمد حسين: ص ٢/٣١١.

(٢) المصدر السابق: ص ٢/٣١٢.

وقد ظهرت في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن دعوة للتوفيق بين الأديان، دعا إليها القسيس الانجليزي (إسحق تيلور) على أساس فكرة التوحيد الإسلامية وفكرة التوحيد عند الكنيسة الإنجيليكية. واستطاع مرزا باقر (إيراني مقيم آنذاك في دمشق) أن يقنع بعض علماء دمشق بالكتابة إلى القسيس تيلور حول هذا الموضوع. وأثارت مجلة الهلال هذا الموضوع في استفتاء عام بعنوان «هل يمكن توحيد الإسلام والمسيحية» (١٩٣٩م) وقام جماعة من الأمريكيين ذوي الميول الصهيونية بعقد مؤتمر في بيروت ١٩٥٢م حول إمكانية تحقيق ذلك، ثم في الإسكندرية ١٩٥٤م. وهذا يؤكد أن المستعمرين لم يكتفوا بجعل مصالح المسلمين وحقوقهم موضع مساومة بل أرادوا أن يجعلوا دينهم وعقائدهم كذلك أيضاً[١].

ومن هذه الدعوات مذهب البهائية الداعي إلى توحيد الأديان بجمع المعقول منها. ابتدعها عباس بهاء (الباب) في إيران. ويدعي أنصارها أنهم أشرف الخلق، وأن مؤسس البدعة في زعمهم أفضل من الأنبياء والمرسلين. وهو يقول عن نفسه: كنت في يوم نوح نوحاً، وفي يوم إبراهيم إبراهيم، وفي يوم عيسى عيسى، وفي يوم موسى موسى، وفي يوم محمد محمداً. وقد ألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، إلا صلاة الجنازة. وأباح نكاح الأخت من أخيها، ودعا إلى الإباحية المطلقة وإطلاق تام لكل الغرائز بلا حدود ولا قيود ولا ضوابط ولا عقوبات ولا مسئولية، إذ لا شيء - كما يدعي - بعد المات[٢]. فالحركة شيوعية في الأموال والنساء وعودة إلى المجوسية الأولى. وقد حاصرها علماء إيران وعلماء

---

(١) محمد حسين: ص ٢/٣٢٠.

(٢) الصواف: المخططات العالمية لمكافحة الإسلام ص ٢٥٩.

البلاد الإسلامية حيثما حلّ أنصارها حتى قضوا عليها، ولم يبق إلا التائهون من أتباعها التافهين.

والقاديانية كالبهائية من صنع أعداء الإسلام، وهي من الدعوات التي تتستر باسم الإسلام بعد انكشاف حركات التبشير. وقد ابتدعها المرزا غلام أحمد في قاديان بالهند في أواخر القرن الماضي، وهو ضالع مع الإنجليز؛ وفي ظلالهم نشأت وترعرعت دعوته، ويسمي نفسه المسيح الموعود والمهدي المنتظر، ويزعم أنّ وحي السماء مستمر وأنه يوحي إليه. وأتباعه يقرنونه بالنبي محمد، ﷺ، وهم يقرنون أصحابه بأصحاب النبي، وقاديان بمكة، وخلفاءه بالخلفاء الراشدين، وقبته البيضاء بقبة النبي الخضراء[1].

والروحية من الدعوات الهدامة التي تصطنع اسم «العلم» بزعم أنها تُجري الاتصال مع الأرواح، مدعية بأن هذا هو سبيلها لرد الناس عن تيار المادية الطاغية، وتُشيع في أثناء ذلك ألواناً من الكذب والدجل والخداع. وهي من خلال مظهرها البراق تدعو الناس بدلاً من الإيمان بالله بدين جديد، يهدم نبوة كل الأنبياء وشرائعهم بزعمها أنهم مجرد «وسطاء» كالذين يستخدمهم المنوّم المغناطيسي، أو الوساطة أرقى منهم. وهي تهدم الأديان، لأنها لا تكترث بالشعائر والعبادات، وإنما تهتم بالعمل الصالح بحسب ما يفهمه دعاتها ويزعمونه. وهم يهدمون المسيحية بقولهم: إن عيسى ليس سوى بشر وسيط، ويهدمون الإسلام بقولهم إن محمداً ليس خاتم الأنبياء وإن صلة السماء بالأرض دائمة قائمة لا تنقطع، ومن هنا كانت الصهيونية العالمية وراء هذه الدعوة لأنها صاحبة المصلحة في هدم

---

(١) محمد حسين: ص ٢/٣٢٠.

الإسلام والمسيحية معاً. ومن آرائها المضللة: محب الإنسانية هو الذي يحبها لذاتها ولا يقيّد حبه للناس اعتباره لجنس ولا موطن ولا لاعتقاد ولا لاسم، بل يحيط الإنسانية عامة بحبه الخالص، فيحب الناس باعتبارهم إخواناً غير مبال بآرائهم الخاصة؛ والفيلسوف هو الذي خلص من وطأة النظريات والآراء الطائفية والتقاليد المذهبية، فأصبح حراً من أسر المقررات، ومستعداً لقبول الحقيقة مهما كانت بشرط أن تُقدَّم البراهين عليها[1].

والماسونية وليدة الصهيونية كالروحية، وهي تتفق معها في دعوتها وأهدافها، ولكنها تختلف عنها في شعائرها وطقوسها. وقد أشرنا إليها في أكثر من موضع في هذا البحث من قبل. وهي جمعية سرية يهودية يرجع تاريخها القديم إلى أيام اليهود الأولى، وترى أن موسى، عليه السلام، كان «أستاذاً أعظم» قاد اليهود ليمثلوا في تيههم المحفل الماسوني الأول. وأن سليمان، عليه السلام، كان «أستاذاً أعظم» لمحفل القدس. وقد مرت الماسونية بعدة مراحل، كان اسمها الأول «القوة المستورة»، وفي القرن الثامن عشر أصبحت تحمل اسم «البنّائين الأحرار» وتدعي أن أهدافها: الحرية والإخاء والمساواة، وهي أهداف زائفة إذ لا هدف لها سوى خدمة اليهودية العالمية وتأمين سيطرتها على العالم[2].

وقد انطلقت محافلها تحت إشراف المحفل الأعظم في بريطانيا وانتشرت في جميع أنحاء العالم، ويبلغ عددها الآلاف. والمحفل البريطاني بالنسبة للماسون كمكة بالنسبة الى المسلمين. وللماسونية قسم يؤديه الماسوني المبتدىء وهو: «أقسم بمهندس الكون الأعظم أنني لا أفشي

---

(١) محمد حسين: ص ٣١٨.

(٢) عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية ص ١٤٣.

أسرار الماسونية ولا علاماتها ولا أقوالها ولا تعاليمها ولا عاداتها، وأن أصونها مكتومة في صدري الى الأبد. وأقسم بمهندس الكون الأعظم أن لا أخون عهد الجمعية وأسرارها، لا بالإشارة ولا بالكلام، ولا بالحركات، وأن لا أكتب شيئاً عنها ولا أنشره بالطبع أو بالحفر أو بالتصوير، وأرضى إن حنثت بقسمي بأن تُحرق شفتاي بحديد محمى، وأن تُقطع يداي، ويُحز عنقي، وتُعلق جثتي في محفل ماسوني، ليراها طالب آخر ليتعظ بها، ثم تُحرق جثتي، ويُذر رمادها في الهواء لئلا يبقى أثر من جنايتي[١].

وفي هذا القسم دليل على ما تنطوي عليه الماسونية من سرية وما تمارسه على أتباعها من إرهاب.

وبعد أن يتدرج الماسوني في الرتب الماسونية وينال ثقة رؤسائه تبدأ عملية تدمير شخصيته وفصله عن مجتمعه وأسرته، وتحطيم الروابط المقدسة التي تربطه بوالديه وبأسرته وعشيرته وحكومته ووطنه فيكون القسم الثاني على الشكل التالي: أقسم على أن أقطع كل الروابط التي تربطني بمطلق كل إنسان كالأب والأم والإخوة والأخوات والزوج والأقارب والأصدقاء والملك والرؤساء وكل من حلفت له بالأمانة والطاعة وعاهدته على الشكر والخدمة[٢].

أما مهمة الماسونية السرية فهي: تحطيم الحكومات، وتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية، والقضاء على الأخلاق والدين، وإثارة الفتن والحروب التي تنتهي دائماً لمصلحة اليهود[٣].

---

(١) عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية: ص ١٤٥.
(٢) المصدر السابق: ص ١٤٦.
(٣) عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية: ص ١٥١.

أما الشيوعية، فالحديث عنها ذو شجون، فمنذ بداية عهدها في ١٧ ديسمبر ١٩١٧ م حاولت خداع المسلمين بالبيان الذي أصدره لينين وستالين وهو: أيها المسلمون: أديانكم وعاداتكم وثقافتكم ومعاهدكم العلمية والقومية مضمونة من كل اعتداء، ثقوا أن البلاشفة يدافعون عنكم، وعن الشعوب التي تعيش في روسيا كلها. إننا حين نرفع علمنا هذا إنما نعلن للشعوب المستعبدة شعار الحرية والاستقلال. أيها المسلمون ننتظر منكم معونتكم المادية والأدبية(١).

ولكن الشيوعية كانت وريثة القيصرية في الرغبة في التوسع وهدم الإسلام، وكان بيانها خداعاً كخداع نابليون، وخداع لورنس، ففي ١٩١٨ م أصدر لينين أمراً بزحف الجيوش البلشفية على البلاد الإسلامية، فأخذت تحصد المدن والقرى والعُزّل في جمهوريات القرم والقوقاز وتركستان وبخارى، فطبقوا أنظمتهم الشيوعية وألغوا الملكيات، وصادروا الأموال، والغوا التعليم الديني واضطهدوا رجال الدين والزعماء والقادة وفتكوا بهم ومثلوا بجثثهم وحولوا المساجد الى دور للّهو، ومكاتب للحزب الشيوعي.

وبعد الحرب العالمية ظهرت عدة أحزاب شيوعية في العالم العربي هدفها تقويض الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وخلق جو من عدم الثقة بين العرب أنفسهم لمنع أي تكتل عربي أو إسلامي والتركيز في الدعاية على الخطر الصهيوني، وإذكاء العداوة بين الشعوب العربية وحكوماتها وإظهار الاتحاد السوفييتي بمظهر الحليف للعرب(٢).

---

(١) الجندي: الإسلام والغرب ص ٢٦٠/٢.

(٢) الجندي: الإسلام والغرب ص ٢٥٢/٢.

وكان للتحالف الذي قام بين الاستعمار والشيوعية في الحرب الثانية أثره في تكوين خلايا شيوعية داخل بعض الأحزاب السياسية في بعض البلاد العربية والإسلامية، وهدف ذلك إسقاط البلاد العربية كلها في قبضة الشيوعية الدولية، وقد حاول الروس خداع العرب والمسلمين بأنهم يناصرونهم في حربهم ضد الاستعمار والصهيونية، مع أنهم أعدى أعداء الإسلام. فكيف تحارب الشيوعية الصهيونية وهي وليدتها، فهي - كما أسلفنا - في أصلها دعوة يهودية، وإن كبار مؤسسيها هم من اليهود، وإن الشيوعيين كانوا وراء كشف وإفشال الخطط العربية عشرات المرات.

والمبشرون والمستشرقون، هم أيضاً لم يألوا جهداً في الكيد للإسلام بترويج الشبهات والأكاذيب عنه في بحوثهم ومقالاتهم وكتبهم ومحاضراتهم وجمعياتهم ومؤتمراتهم:

قالوا: إن مهمة الإسلام مهمة تاريخية، انتهت واستنفدت أغراضها. وقد قسم الشيوعيون الحياة البشرية الى أدوار هي: الشيوعية الأولى، والرق، والإقطاع، والرأسمالية، والشيوعية الثانية، وهي نهاية البشرية. وكل ما جاء الى البشرية من أديان هو انعكاس لهذه الأدوار الاقتصادية، وما يصلح لمرحلة لا يصلح للأخرى. ولا يوجد نظام صالح لهذه الأدوار كلها. وقد جاء الإسلام في نهاية عصر الرق وبداية عصر الإقطاع، وتشريعاته ملائمة لذلك فقط.

وفي نشوة الانتصارات التي حققها الغربيون في مجال العلم ذهب علماء الفلسفة والاجتماع وعلم النفس، هم أيضاً، إلى أن الدين قد استنفد أغراضه. فقسم فرويد حياة البشرية الى ثلاث مراحل هي: مرحلة الخرافة ومرحلة التديّن، ومرحلة العلم ولا مكان للدين في هذه المرحلة. ولذلك قال «سومرست موم: نبذت أوربا إلهها وآمنت بإله جديد هو

العلم. ولكن العلم متقلّب، فهو ينفي اليوم ما أثبته بالأمس وسينفي غداً ما يثبته اليوم، لذلك نجد عبادَهُ في قلق دائم لا يستقرون»[١]. وهذا طبيعي، فقد فقدوا الشعور بالأمن في رحاب الله فشاع فيهم الاضطراب والقلق.

ومن هنا فقد روّجوا للعمل بالقوانين الأوربية لتعطيل الشريعة الإسلامية عملياً بادعاء أن الإسلام لا علاقة له بالحكم وأن الشريعة لا تصلح للوقت الحاضر.

ومن أكاذيبهم ما ذهب اليه «فلهاوزن» في (تاريخ الدولة العربية) وغوستاف لوبون في (حضارة العرب) وغيرهما من أن الإسلام من تأليف النبي ﷺ، أو من تأليف الراهب «بحيرا» الذي أعطاه إياه عندما قابله مع عمه في الشام في بصرى وتلقى عنه علم التوراة على نحو ما قاله نورمان دانيال عميد كلية الملكة في اكسفورد[٢]. وذهب إلى مثل ذلك جولدزيهر فادعى بأن القرآن الكريم متناقض ومن العسير أن نستلخص منه مذهباً عقدياً موحداً ومتجانساً[٣]. ومرد ذلك عند هؤلاء عدم معرفتهم بطبيعة الإسلام وجهلهم وعجزهم عن فهم العربية، لغة القرآن، وتفسير القرآن تفسيراً يوافق أهدافهم وأهواءهم مع الخطأ في مقارنة الآيات.

وأنكر «بروكلمان» في «تاريخ الشعوب الإسلامية» والمستشرق الهولندي «فنسنك» أن يفكر النبي ﷺ في عموم الرسالة وعالمية

---

(١) شبهات حول الإسلام: ص ١٢.
(٢) شوقي أبو خليل: ص ١٩.
(٣) المصدر السابق: ص ٣٢.

الإسلام، وزعما - وغيرهما كثير - أن ذلك قد جاء فيما بعد، ووصفا تفكير النبي بالغموض في هذه المسألة وأن النبي ﷺ لم يوجه دعوته منذ أن بُعثَ الى أن مات إلا إلى العرب دون غيرهم[1]. وقد أنكروا كذلك صحة الرسائل التي أرسلها النبي ﷺ الى الملوك والأمراء خارج الجزيرة يدعوهم فيها إلى الإسلام بحجة عدم العثور على أي أثر لها في تاريخ أولئك الأمراء والملوك[2]. مع أن بعض هذه الكتب ما زال موجوداً في اسطنبول، وبعضها قامت من أجلها حروب تؤكد صحتها كمعركة مؤتة. ثم إن ألفاظ القرآن الكريم صريحة واضحة الدلالة على أن كل نبي أرسل الى قومه فقط إلا محمداً ﷺ، فقد أرسله الله الى الناس كافة. وكثير من الأحاديث تؤكد هذه الحقيقة: ولكن ما الحيلة إذا كان المستشرقون لا يفقهون أو لا يريدون أن يفقهوا. وممن ردد هذه الشبهة: مرجوليوث وكايتاني وغيرهما.

وقال «بروكلمان» في «تاريخ الشعوب الإسلامية» إن الإسلام ينادي بحرية الفكر والمعتقد ويدعي الحجة والإقناع، في الوقت الذي يعتمد فيه على السيف ليفرض نفسه على الشعوب، ويعلن العداوة على غير المسلمين حيث وجدهم، لأن محاربة غير المسلمين في الإسلام واجب ديني[3]. ويقول «ساندرز» في «الإسلام حركة استعمارية» إن المسلمين مستعمرون كغيرهم دفعهم الخصب في الشمال الى الغزوات، فهم كالفاتحين الذين شهدتهم البشرية على مسرحها، وذلك منذ أيام الخليفة عمر،

---

(١) شوقي أبو خليل: ص ٤٢.
(٢) المصدر السابق: ص ٤٩.
(٣) المصدر السابق: ص ٧٥.

المستعمر العربي[١]. وذهب «فيليب حتي» «ونورمان بينز» إلى أن الحالة الاقتصادية المتردية للعرب وحبهم للغنائم كانت الدافع الرئيسي لفتوحاتهم، فقد دفعهم الجوع والحاجة الى ترك صحاريهم القاحلة واجتياح الأراضي الغنية المجاورة[٢]. وقال «المسنيور كولي» في «البحث عن الدين الحقيقي» و «ج. إزاك» في «محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى» و«هـ. غيومان» في «تاريخ فرنسا» والكتابان الأخيران يدرسان في لبنان «: إن تاريخ الإسلام سلسلة مخيفة من الحروب وسفك الدماء والمذابح؛ وفي القرن السابع الميلادي ظهر عدو جديد هو الإسلام، الذي قام على القوة وعلى أشد أنواع التعصب، فقد وضع محمد السيف في أيدي أتباعه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، وسمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات. إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: اسلموا أو موتوا بينما ربح المسيحيون النفوس ببرهم وإحسانهم[٣]...

وقد فات أولئك الجاحدين أن القتال في الاسلام لم يكن إلا دفاعاً عن النفس وحماية للدعوة ورداً للعدوان، وفاتهم معرفة الكثير من سماحة المسلمين وعدلهم وبرهم وسمو أخلاقهم مما جعل أهل البلاد المفتوحة يرحبون بهم، ويرون أنهم المنقذون لهم من الظلم والاستبداد، فيدخلون في دينهم أفواجاً. وإنه بمقارنة فتوحات الإسلام بالحركات الاستعمارية والحروب العسكرية الأخرى كالهكسوس والإسكندر والهون والجرمان

---

(١) شوقي أبو خليل: ص ١٢٧.
(٢) شوقي أبو خليل: ص ١٦٠.
(٣) المصدر السابق: ص ٧٦.

والفندال والمغول والصليبيين يظهر وجه الاختلاف. إن الفتح الإسلامي لم ينحسر عن غالب ومغلوب وعن عزيز وذليل، بل انحسر عن تحرير وسلام بين الفاتحين والشعوب، وعن وحدة في العقيدة والفكر. حمل المسلمون رسالة السماء ومعها حضارة متكاملة لم تبتلعها الحضارات المعاصرة. وليست الفتوحات الإسلامية استغلالاً واغتصاباً وسيطرة شأن الحركات الاستعمارية، قديمها وحديثها. وفي معارك الإسلام كانت المبايعة على الموت لا على الغنيمة. ويوم نهاوند قال «النعمان بن مقرن»: «اللهم أعزز دينك وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم، اللهم إني أسألك أن تقرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام»[1] وكانت قريش قد عرضت على النبي، ﷺ، الثروة فأباها، وكان بوسعه ﷺ أن يوفر لنفسه ولأهله أرغد العيش بعد انتصاراته ولكنه كاد يفقد زوجاته لكثرة شكايتهن من شظف العيش. وقد ضحى أبو بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم، بأموالهم في سبيل الدعوة، وظلوا على تقشفهم حتى بعد الخلافة.

وافترى «فلهاوزن» في «تاريخ الدولة العربية» على النبي، ﷺ، أنه: حاول إظهار اليهود بمظهر المعتدين الناكثين للعهد، فأجلاهم باستعمال وسائل غير شريفة. إنه بالنسبة الى يهود المدنية فقد كان هناك سبب ما، حقيقياً كان أو مصطنعاً، يدعو الى انتقام النبي منهم، إلا أن خيبر التي تبعد عن المدينة كل هذا البعد لم يرتكب أهلها في حقه ولا حق أتباعه خطأ يُعتبر تعدياً منهم جميعاً، ويتابع قوله: وهذا يفسر لنا الشهوة التي سيطرت على نفس محمد والتي دفعته الى شنّ غارات متتابعة، كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبله ونابليون من بعده. إن

---

(١) شوقي أبو خليل: ص ١٦٤.

استيلاء محمد على خيبر يبيّن لنا إلى أي حد أصبح الإسلام خطراً يهدد العالم »[1].

ونسي « فلهاوزن » ومن شايعه أن اليهود كانوا ينقضون عهدهم مع النبي ،ﷺ ، في أحرج الأوقات ، ويقفون في صف أعدائه ليستأصلوا شأفة المسلمين ويبيدوهم ، حفاظاً على مركزهم ونفوذهم وأرستقراطيتهم. فالنبي محق في إجلاء بني قينقاع بعد بدر لتآمرهم وتطاولهم وغرورهم ، وفي إجلاء بني النضير بعد أُحُد لتآمرهم مع قريش ، وفي إجلاء بني قريظة بعد الخندق لنكثهم عهودهم معه وهو في أشد ساعات الحرج ، فساعدوا قريشاً وحرضوها ضده ، وحاولوا قتله مرتين: مرة بفخذ مسمومة ومرة بإلقاء حجر عليه وهو في صحن دار. أما خيبر: فقد تزعمت يهود خيبر وتيماء وفدك ، للتآمر على الإسلام ومداهمة المدينة. إن عداء يهود خيبر للإسلام وللنبي ،ﷺ ، لا يحتاج الى برهان.

وفي رد تهمة التعصب والقهر العسكري عن الإسلام نورد قول السير توماس آرنولد في كتابه « الدعوة الى الإسلام »! « إن المسيحيين في الشام قد دخلوا في الإسلام بالتسامح والاقتناع واختيار وإرادة حرة. أما في مصر فقد كان الأقباط يُعذَّب أحدهم ثم يُلقى في النيل ، فجاء المسلمون وأنقذوهم من الحكم البيزنطي. أما في إسبانيا فقد سحر الإسلام الإسبان بمدنيته الباهرة وبلغ من تسامح محمد الفاتح أن أعلن نفسه حامياً للكنيسة الإغريقية بعد فتح القسطنطينية. وقد تقبلت شعوب أوربا الشرقية الإسلام وتعاليمه الواضحة المفهومة عن الوحدانية. وفي بلاد فارس وما وراء النهر كان الإسلام المخلّص لهذه الشعوب من حكم

---

(١) شوقي أبو خليل: ص ٨٠.

الساسانيين وظلمهم بعد أن تبنوا الديانة الزرادشتية وأشاعوا في البلاد العنف والفوضى. وجاء التتار والمغول بقوتهم وجبروتهم وهمجيتهم الى العالم الإسلامي، هزموه عسكرياً، ولكنهم عادوا يحملون الإسلام وبالدعاة وحدهم انتشر الإسلام، وحوَّل جيش «بركة خان» وكل فارس سجادة صلاته معه. ووصل الإسلام الى روسيا وسيبريا والى قبائل القيرغيز بلا سيوف ولا جيوش ولكن بالدعوة فقط، حتى أصبحت مدينة قازان مركز الدعوة الرئيسي[1].

ويفتري فلهاوزن على الإسلام أيضاً أنه عامل أهل الذمة بقسوة واضطهاد وإرهاب وقمع للحريات، وأرهقهم بضرائب كثيرة سميت الجزية، وكان موقف الذميين أمام الارستقراطية العربية موقف الرعايا الخاضعين، وكانوا هم الدعامة المالية للدولة، كانوا بقرة الوالي يمسكها من قرونها حتى تسكن ويحلبها عامل الخراج»[2].. ويمكن دحض رأيه إذا قارنّا حالة غير المسلمين في بلاد الإسلام، وحالة المسلمين في البلاد غير الإسلامية منذ بداية الإسلام وحتى الآن. والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الداعية الى حماية الذميين وصون حقوقهم وحرماتهم أكثر من أن تحصى، وشواهد التاريخ برهان على ذلك.

ويثير أعداء الإسلام ضجة كبرى حول قتل المرتد، ويرون في ذلك إهداراً للحرية الدينية لا يتفق مع قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾[3]؛ مع أن قتل المرتد ليس مسألة شخصية، فالردة خروج على نظام عام وضعه الإسلام وإفساد للجماعة وانحراف بها عن جادة الصواب، وتحلل من الالتزامات. فمن أجل خير الجماعة يُستتاب المرتد ثلاثة أيام ويُناقَش،

(1/) شوقي أبو خليل: ص ١٠٩.
(٢) شوقي أبو خليل: ص ١١١.
(٣) المصدر السابق: ص ١٢٤.

فإن أصر على ردّته والجاهرة بعدائه للإسلام قُتل حماية للجماعة من شروره.

ويدعي «بروكلمان» أن النبي ﷺ، لم يلغ الرق الذي ظل معضلة إسلامية[1] .. مع أن الإسلام قد شرع للأرقاء شرعة لم يسبقه إليها دين من الأديان. ولم تبلغ شأوها الحضارة الغربية حتى الآن. مع أن النخاسة في أصلها تجارة أوربية. وقد عُرف الرق قبل الإسلام: عرفه الفراعنة الذين بنو الأهرام على أكتاف الرقيق. وفي الصين كان الإنسان يبيع نفسه وأولاده تخلصاً من الفقر. وكان العبيد يشكلون غالبية الشعب الهندي، ولم يكن يحق لهم امتلاك شيء. وفي فارس جرى الاعتقاد بأن دم الآلهة يجري في عروق الحكام وإن مَنْ سواهم عبيد لهم. وكان قرصان اليونان يتخطفون الناس من السواحل لبيعهم في أسواق أثينا؛ وقسم فلاسفتهم الجنس البشري الى قسمين: حر بالطبع، ورقيق بالطبع وكانت الحروب الرومانية مواسم نشطة لتجارة الرقيق الذي لم يكن يعتبره القانون الروماني إنساناً له حقوق. وقد أباحت التوارة الاسترقاق بالسبي أو الشراء. ولم تعترض المسيحية على العبودية. وقد أمر «بولس» العبيد بإطاعة سادتهم كما يطيعون المسيح. وساد نظام الإقطاع في القرون الوسطى، وكان المزارعون عبيد المُلاّك. وفي عصر الاكتشافات الجغرافية نشطت تجارة الرقيق، فكان الإنجليز يشعلون النار في الهشيم المحيط بالقرى الإفريقية والذي صُنعت منه الحظائر، فإذا نفر أهل القرية الى الخلاء تصيدوهم. فمنهم من يموت أثناء المطاردة، ومنهم من يموت أثناء الرحلة، ومنهم من يموت لتغير الطقس. وكانت الملكة اليزابث الأولى تشارك في تجارة الرقيق مع شريكها جون هوكنز اكبر تجار الرقيق في التاريخ، فقد كان لديه أسطول من ١٩٢ سفينة لاقتناص الرقيق.

---

(١) شوقي أبو خليل: ص ١٤٢.

وقد عالج الإسلام المشكلة فضيق المداخل الى الرق وحصرها في الحرب الشرعية الدفاعية، ولم يكن الأسرى يُسترقون إلا بأمر الامام، بعد أن لا يكون هناك مجال لتبادلهم أو المن عليهم. أما مخارج الرق فقد جعلها الإسلام بالعتق الطوعي أو الكفارة، وبالمكاتبة، وبعد إنجاب الأمة من سيدها. وقد ردّ الإسلام الى العبيد كرامتهم وإنسانيتهم، والسيرة مليئة بالشواهد على ذلك. وعندما حضر عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتسلم القدس بعد فتحها كان غلامه عند اقترابه منها يركب الجمل وكان عمر هو الذي يُمسك بزمامه، فقد كانا يتناوبان الركوب أثناء الرحلة. وقد جعل الإسلام كفارة ضرب المملوك بعتقه[١].

ويفتري المستشرق الفرنسي «آرنست رينان» في «الإسلام والعلم» على الإسلام بأنه حارب العلم والفلسفة، فهو بذلك ليس دين حياة يصلح للبقاء».؟؟ مع أن الإسلام هو دين العلم والعقل والمعرفة. فهو يدعو الى علم الحياة (البيولوجيا) في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٢] ويدعو الى علم التاريخ والاجتماع بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[٣]. الآية. وإلى علم الفلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ أُنظُرُوا مَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ..﴾[٤] الآية. ويدل كثير من أسماء سور القرآن الكريم على اهتمامه الكبير بهذا العلم من مثل: الرعد، النور، الدخان، النجم، القمر، المعارج، التكوير، الانفطار، البروج، الطارق، الفجر، والشمس، والليل، والضحى، والزلزلة.

---

(١) شوقي أبو خليل: ص ١٦٠.
(٢) شوقي أبو خليل: ص ١٦٧.
(٣) سورة الطارق: الآيتين ٥ - ٧.
(٤) سورة الروم: آية ٩.

ويفتري المستشرق الفرنسي: «كارادي فو» على الإسلام بأنه هضم حق المرأة: حيث أعطاها نصف نصيب الرجل من الميراث، وجعل الرجل يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع، وجعل الطلاق بيد الرجل، ومنحه سلطة ليست للمرأة فحرمها كثيراً من الحقوق التي يتمتع بها الرجل[1].. ويمكن الرد على هذه الفرية باستعراض سريع لوضع المرأة ومكانتها في المجتمعات غير الإسلامية ثم لوضعها ومكانتها في الإسلام. فقد قضت الحضارة الرومانية أن تكون المرأة رفيقاً للرجل، وقضت الحضارة الهندية القديمة أن الوباء والموت والأفاعي والجحيم والسم والنار خير من المرأة وحقها في الحياة ينتهي بموت زوجها، مالكها وسيدها. وكانت المرأة عند اليونان من سقط المتاع؛ كانت تباع وتشترى، وكانت تُعَدّ رجساً من الشيطان.. وفي التوراة: أمرّ من الموت المرأة، التي هي شباك، وقلبها شراك، ويداها قيود وكانت الكنيسة الكاثوليكية تعد المرأة مخلوقاً من المرتبة الثانية. وتعدد الزوجات تشريع قديم عرفته كل الحضارات وأقرّته التوراة والإنجيل، والقوانين الوضعية هي التي حرمت التعدد في العالم.

ويُعتبر البغاء في الغرب ضرورة اجتماعية كما يقولون عنه. والحقيقة أن الأوربي لا يريد أن يعول أحداً، لا زوجة ولا أولاداً، يريد أن يستمتع دون أن يتحمل تبعة، يريد جسد المرأة، ولا يهمه من تكون ولا يهمها من يكون، ولا تعنيه مشاعرها نحوه، ولا تعنيها مشاعره نحوها. وقد أوجدت ظروف الحربين العالميتين في الغرب أزمة أخلاقية واقتصادية للمرأة، فاظطرت لكي تعول نفسها ومن تحت يدها من أطفال وعجائز أن تنزل الى العمل، وأن تبيع نفسها وأخلاقها. ولم يكن بوسع أوربا

---

(١) شوقي أبو خليل: ص ١٧٧.

حل هذه المشكلة كما حلها الإسلام، بتعدد الزوجات؛ فكان لا بد من سقوط المرأة، لترضي حاجتها الى الطعام والجنس والملابس الفاخرة وأدوات الزينة ولكنها حُرمت من إرضاء حاجتها الطبيعية الى أسرة وأولاد، تجد مكانتها ونفسها بينهم، على نحو ما هو عليه وضعها في الإسلام.

ويتباهى الشيوعيون أنهم جعلوا من المرأة كياناً آدمياً حين استقلت اقتصادياً وصارت تملك. وهم لم يبلغوا في ذلك شيئاً مما بلغه الإسلام في حمايته لملكية المرأة واستقلالها الاقتصادي. وهي فوق ذلك معفاة من الانفاق على نفسها في الإسلام بعد زواجها وقبله، ولذلك كانت أوفر حظاً في الميراث من الرجل، فما ترثه تدخّره وما يرثه ينفقه. إن الإسلام هو الذي حفظ للمرأة كرامتها وأحلها في أسمى مكانة أمّا كانت أو زوجة أو بنتاً أو أختاً، ولم تصل الى هذه المكانة أو تدانيها أرقى الأنظمة الغربية، التي نجد في ظلها أكثر النساء يرفضن المساواة مع الرجل لأنها ألقت إليهن مسئوليات قاسية. وقالت سيدة أمريكية: تعدد الزوجات في رابعة النهار في رعاية الله، خير من الخليلات في سواد الليل في رعاية الشيطان »[١].

والإسلام يحض على علاقة روحية دائمة بين الزوجين، ولكن قد يتبدل الحب الى كراهية، وينقلب الوفاق الى شقاق، ويتحول التفاهم الى نزاع، فيعترف الإسلام بالأمر الواقع. ويكون الطلاق هو الحل الأخير إذا سُدّت كل السبل الى التوفيق وإصلاح ذات البين. فهو دواء مر المذاق، ولكنه أرحم للزوجين من حياة قائمة على الخصام والكراهية لا يملكان حيالها فرصة للخلاص منها.

---

(١) شوقي أبو خليل: ص ١٩١.

ويتهم المستشرقون: موير، ودرمنجهم، ولامانس الرسول ﷺ بأن الشهوة الجنسية عنده كانت دافعاً لتعدد زوجاته. ويقولون: إن النبي بعد وفاة السيدة خديجة كان قد بلغ الخمسين، وكانت أكبر منه سناً، فما كاد يفرق الموت بينهما حتى رجع الى صباه يطلق له العنان بمن يشاء من الزوجات[١].

وقد كان تعدد الزوجات نظاماً مألوفاً عند أنبياء بني إسرائيل، ففي التوراة أنه كان سليمان الحكيم ٧٠٠ امرأة و٣٠٠ من الجواري، وكن كلهن كما تقول التوراة من أجمل نساء زمانهن. أي أنهن حين اختارهن كن صبايا عذارى[٢]. أما الرسول ﷺ فلم يتزوج إلا صبية واحدة هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. أما الباقيات فقد كن عجائز، أو ذوات أولاد توفي عنهن أزواجهن فضمهن الرسول ﷺ لكفالتهن، تقديراً لبلائهن أو بلاء أزواجهن في الإسلام. ومع ذلك فقد كان وراء كل زواج غرض ديني أو سياسي.

وتعدد الزوجات فوق هذا كله كان أمراً طبيعياً في ذلك العصر، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه تزوج بسبع نساء، وتزوج كل من عثمان وعلي رضي الله عنهما بثمانٍ[٣] وما دام لم يهاجم أحد سليمان عليه السلام في هذا الأمر، فإن مهاجمة النبي ﷺ، مع أنه لم يبلغ مبلغه في ذلك، تعصب بغيض.

ويدعي «بروكلمان» أن في الحج رواسب وثنية كاستقبال الكعبة واستلام الحجر الأسود والطواف والسعي ورمي الجمار[٤].. وهو لا

---

(١) شوقي أبو خليل: ص ١٩٨.
(٢) الصواف: المخططات العالمية ص ١٠٤.
(٣) شوقي أبو خليل: ص ٢٢١.
(٤) شوقي أبو خليل: ص ٢٤٥.

يدري أن التقديس في هذه الأمور معنوي وليس مادياً. وفي توجه المسلمين وجهة واحدة رمز لوحدتهم ووحدة هدفهم، فالجسد متوجه الى الكعبة والروح والقلب متجهان الى الله. ولم يكن عرب الجاهلية يعتبرون الحجر الأسود من آلهتهم، بل كانوا يعتبرونه من بقايا بناء ابراهيم وإسماعيل[1]. فليس في تقبيله إقرار لوثنية. أما رمي الجمار فهو إعلان لحرب مستمرة دائمة على الشيطان.

وفي أمريكا آلاف المدارس تسمى «مدارس الأحد» يذهب إليها طلاب الابتدائيات صباح كل يوم «أحد» وليس لهذه المدارس مهمة سوى تشويه الإسلام، وتبديل حقائقه، وبث الرعب في نفوس الطلاب منه ومن المسلمين. «المتوحشين» ومما تلقنه هذه المدارس للأطفال الصغار: أن الرسول ﷺ، سكر مرة حتى لم يَعُد يتبين خطواته، فسقط على الأرض فعضه خنزير، ولذلك حرم الخمر ولحم الخنزير[2].

وتقول إحدى المعلمات العاملات في هذه المدارس: إن الإسلام دين زاحف، ولو لم نحمِ أنفسنا منه بهذه الطريقة ونربي أجيالنا على خشيته لزحف إلينا وهددنا في مستقبلنا وبلادنا.[3].

٣ - هدم اللغة العربية وآدابها:

أدرك الغربيون أن أفضل وسيلة لتدمير الإسلام وقطع صلة المسلمين به هي تدمير اللغة العربية وهدمها وقطع صلتهم بها، فتنقطع بالتالي صلتهم بالقرآن الكريم.

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٤٨.
(٢) جاهلية القرن العشرين: ص ١٦٣.
(٣) الصواف: ص ١٩٣.

ولتحقيق هذا الهدف فقد عمل دعاة حضارتهم على أن يكسبوا مع الأيام أنصاراً من الشباب والمفكرين الذين يطمحون الى الشهرة والنفوذ. وكان هؤلاء يرون أن صلاح أمر المسلمين إنما يكون باتباع خطوات أوربا ومحاكاتها.

وكان هدف هذه الدعوة تنشئة جيل جديد من أبناء العرب والمسلمين لا يستطيع أن يتذوق أساليب البيان العربي الأصيلة؛ ولا يحلو في أذنه ولا في ذوقه إلا أساليب البيان الغربي وموضوعاته. فإذا انصرف الشباب عن تراثهم اللغوي والأدبي الأصيل، ونفروا من تذوقه، ونفروا من أسلوب القرآن الكريم وعجزوا عن فهمه، فقد انتهى الأدب الى الكساد، والى الموت. وحتى يصلوا الى بغيتهم فقد روّجوا الكتابة العربية بالحروف اللاتينية تارة، ولاستبدال العامية بالفصحى تارة أخرى.

وقد ظهرت هذه الدعوة أول ما ظهرت على صفحات «المقتطف» التي دعت الى كتابة العلوم باللغة العامية التي يتكلمها الناس، وذلك منذ عام ١٨٨١ م. وفي عام ١٩٠٢ م ألف أحد القضاة الإنجليز في محكمة الاستئناف الأهلية بمصر كتاباً سماه (لغة القاهرة)، ووضع لها القواعد، واقترح اتخاذها لغة العلم والأدب وكتابتها بالحروف اللاتينية. وفي هذا الوقت كتب حافظ قصيدته المشهورة متحدثاً بلسان اللغة العربية:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجزع لقول عداتي

وفي عام ١٩٢٦م دعا مهندس للري، انجليزي(١)، الى هجر اللغة

(١) هو المهندس وليام ولكوكس.

العربية، وترجم أجزاء من الأنجيل الى ما سماه «اللغة المصرية» وقد نوّه «سلامة موسى» به وأيده، كما نوهت «المقتطف» بالقاضي الإنجليزي[١] وأيدته من قبل.

وانتقلت العدوى الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فظهرت في مجلة المجمع سلسلة من المقالات عن «اللهجة العربية العامة» لعضو المجمع المشهور بعدائه للعربية والذي ورث هذا العداء عن والده وهو «عيسى اسكندر المعلوف» حيث كان والده يدعو منذ ١٩٠٢م الى جعل العامية لغة العلوم والآداب. وعكف على وضع معجم لها أكمله ابنه عيسى من بعده. وقد زعم أن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو سبب تخلفنا الثقافي. وزعم أنه من الممكن اتخاذ أي لهجة عامية لغة للكتابة كالمصرية أو الشامية. ومن أقواله: «ما أحرى أهل بلادنا أن ينشطوا من عقالهم للتحرر من رق لغة صعبة المراس، قد استنزفت أوقاتهم وقوى عقولهم الثمينة. وهي مع ذلك لا توليهم نفعاً بل أصبحت ثقلاً يؤخرهم عن الجري في مضمار التقدم، وحاجزاً يصدهم عن النجاح. ولي أمل أن أرى الجرائد العربية وقد غيرت لغتها وخاصة الهلال الغراء، وهذا أعده أعظم خطوة نحو النجاح. وهو غاية أملي ومنتهى رجائي»[٢].

وفي عام ١٩٤٣م قدم عضو المجمع اللغوي بالقاهرة «عبد العزيز فهمي» اقتراحاً بكتابة العربية بحروف لاتينية، وشُغل المجمع باقتراحه ثلاث سنوات، في عدة جلسات. وقد خصصت الحكومة جائزة ألف جنيه لأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية[٣].

---

(١) هو القاضي ويلمور.

(٢) محمد حسين: ص ٣٦٣/٢.

(٣) محمد حسين: ٣٦٤/٢.

وقـــد دعـــا «قـــاسم أمين» الى إلغـــاء الإعراب وتسكين أواخر الكلمات، كما في اللغة التركية. كما دعا أحمد لطفي السيد الى استعمال العامية. واقترح الأب أنستاس الكرملي الدلالة على الحركات بالحروف فتكتب ضَرَبَ ضارابا، سَعْدٌ = ساعدون، وسعداً = ساعدان، وسعدٍ = ساعدين، ومحمدٌ = موحامادون وهكذا، كما هو الحال في اللغة الانجليزية.

ودعا المهجريون أن لا تكون قواعد اللغة ثابتة. وحاولوا أن يجدوا لها من ملكاتهم قواعد متحركة. وقد دعا جبران خليل جبران الى نبذ اللغة العربية والتطلع الى اللغات الغربية بقوله: «إن لغتكم ستصير الى لا شيء، لأنها الى الوراء، وإن خشب النعوش لا يثمر ولا يزهر»[1].

أما سلامة موسى، فقد قاد حملة شعواء ضد العرب ولغتهم وتاريخهم وحضارتها. وكان أبرز كتّاب مجلة «الكاتب المصري» التي أنشأتها المنظمة الصهيونية في مصر غداة التقسيم. وهو في سعيه الى هدم اللغة يسعى الى هدم الهوية العربية. ومن قوله: «لغتنا لا تُرضي رجلاً مثقفاً في العصر الحاضر. ولا تخدم الأمة ولا ترقيها، لأنها تعجز عن نقل مائة علم من العلوم التي تصوغ المستقبل ولغتنا شاذة تحتاج الى إجراء شاذ»[2] وهو يشيد باسرائيل ويصفها بأنها أمة علمية أنشأت مجتمعاً علمياً[3].. مع أنه كان بإمكان العدو الإسرائيلي أن يتبنّى أي لغة كالإنجليزية مثلاً ولكنه بعث العبرية وفرضها على خليط السكان لأنه يدرك خطورة اللسان القومي، وسلامة موسى يدرك ذلك أيضاً، ولذلك هاجم اللغة العربية.

---

(١) المصدر السابق: ٢/٢٧٦.

(٢) كشك: ص ١٩٠.

(٣) كشك: ص ١٩١.

ويصور موقف اليهود من لغتهم العبرية ما جاء في كتاب « في الفكر اليهودي » الذي صدر في القاهرة ١٩٣٨ م: «إن معرفة اللغة العبرية هي المحور الذهبي الذي يدور عليه كياننا القومي والديني، اللغة العبرية الهابطة من جبال الأبدية، قد اختارها الله تعالى لنشر الحقائق. وطالما سنظل يهوداً، وطالما سننادي بان التوراة كتابنا، يجب أن نقدس اللغة التي كُتبت بها تقديسا لا حد له. اللغة العبرية هي الخزائن التي أودعنا فيها كل نفيس من حياة إسرائيل الروحية. هذا مخزن فسيح الأرجاء، مملوء كنوزاً ومفتاحه اللغة العبرية[1].

ألف اليهود بالعبرية، ونالوا جائزة « نوبل » بها. فإذا استطاعت العبرية أن تعبر عن علوم العصر فلماذا تعجز العربية عن ذلك؟! لقد انتصروا على أكثر من مائة مليون عربي لأنهم عرفوا كيف يصوغون فكر شبابهم وهزمونا لأن أمثال سلامة موسى صاغوا فكر شبابنا.

وسلامة موسى يمدح تركية الحديثة بقوله: «إن اقتراح الحروف اللاتينية وثبة الى المستقبل، ولو أننا عملنا به لاستطعنا نقل مصر الى مقام تركيا».. مع أن تركيا بفعلتها تلك قد أضاعت ماضيها، ولم تدرك مستقبلها. إن اللغة العربية قد استطاعت التعبير عن لسانها وعن عشر لغات أخرى بحروفها، فأين عجزها؟!!

وفي عام ١٩٦٣ م كتب « وليام زارتان » الأمريكي في مجلة « حوار » التي تصدرها المخابرات الأمريكية، الصهيونية الاتجاه، مقالاً عن مشاكل التعريب في المغرب وفيه تحدث عن اللغة العربية فقال: «إن تركيب لغة القرآن يتجاوز معرفة غالبية السكان وإدراكهم، فهي تُكتب دون أحرف صوتية وأحرف تبين لفظ أواخر الكلام، لذلك لا تُلفظ كما تكتب.

---

(١) كشك: ص ١٩٢.

وهناك مَثَل يقول: إن المرء في العربية يتعلم ليقرأ ولا يقرأ ليتعلم. إن اللغة العربية قد جمّدها التمسك بالماضي، فهي تعاني من غزارة مفرداتها المهجورة، ومن فقرها علمياً. وهي تعج بمفردات ومعانٍ عن مظاهر الحياة البدوية، بينما تفتقر افتقاراً تاماً إلى أسماء حاجات الحياة الحديثة ومفاهيمها»[1].

إنها كلمات سلامة موسى نفسها...!!!

وحينما أثيرت مسألة اختيار الحروف العربية واللاتينية لكتابة اللغة الصومالية لم يكن لأعداء الحروف العربية من حجة سوى ما كتبه سلامة موسى من تسفيه اللغة العربية وحروفها.

وقد سعت فرنسا لمحو اللغة العربية، لتمحو الشخصية العربية الإسلامية في الجزائر، فقد جاء في أحد التعليمات غداة الاحتلال: «إن الجزائر لن تصبح حقيقةً.. فرنسية» إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية، والعمل الجبار الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي، بالتدريج، الى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة الآن. لقد عقدنا العزم على استمالتهم إلينا، وتمثّلهم بنا، وإدماجهم فينا، وجعلهم إفرنسيين»[2]... إنهم يدركون أن بقاء اللغة هو العقبة الوحيدة أمام هذا الإدماج. وهم قد عرفوا مقتل الأمة وسددوا ضربة قاضية الى روح الشعب. وكانوا يبررون فعلهم بحجج هي نفسها حجج سلامة موسى الذي يقول: «نكبتنا الحقيقية أن اللغة العربية لا تخدم الأدب المصري ولا تنهض به، لأن الأدب هو مجهود الأمة، وثمرة ذاتها، وابن تربتها، ووليد بيئتها، فهو لا يزكو إلا إذا

---

(١) كشك، ص ١٩٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١٩٦.

كانت أداته لغة هذه البيئة التي نبت فيها. واللغة العربية تبعثر وطنيتنا المصرية، وتجعلها شائعة في القومية العربية، فالمتعمق في اللغة الفصحى يشرب روح العرب، ويُعجب بأبطال بغداد بدلاً من أن يشرب الروح المصرية، فنظره متجه دائماً إلى الشرق، وثقافته كلها عربية شرقية، والثقافة تُقرر الذوق والنزعة. وليس من مصلحة الأمة المصرية أن ينزع شبابها نحو الشرق»[1].

ومن أقواله: «اللغة التي لا نزال نرطنها رطناً ولم تشربها بعد نفوسنا، ولا أمل في أن تشربها، لأنها غريبة عن مزاجنا[2]. إن سيادة البريطانيين على الهنود، أو المتمدن على المتوحش، إلى حد ما سيادة لغوية»[3] فالمحتل عنده متمدنين، وأهل البلاد متوحشون.

ويعود إلى الحديث عن استعمال الحروف اللاتينية بقوله: «يجب أن لا ننسى المعنى السامي الإنساني في اتخاذ الحروف اللاتينية، معنى الانضمام في الثقافة إلى ألف مليون إنسان متمدن، نحيل الإنفصال بيننا وبينهم إلى اتصال، والخلاف إلى وفاق، وفي كل هذا سلم وحب وإنسانية»[4].

وفي كتاب «اللغة العربية والبلاغة العصرية» بسط سلامة موسى خطته لتدمير اللغة العربية وهدم قواعدها وأصولها، فدعا إلى استبدال العامية بالفصحى، وإلغاء الإعراب وقواعد النحو، وإدخال الألفاظ

---

(١) كشك: ص ١٩٧.
(٢) كشك: ص ١٩٨.
(٣) كشك: ص ١٩٨.
(٤) كشك: ص ٢٠٦.

الأجنبية ورفض التعريب، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية[1].

ويذكر أن الذي حمله على دعوته «لإصلاح العربية» أن اللغة العربية شاقة تكدّ الذهن، وأن تعليم اللغة العربية في مصر في يد الشيوخ الذين ينقعون أدمغتهم نقعاً في الثقافة العربية، ثقافة العصور المظلمة، وأن كتب الأدب العربي هي كتب الملوك والأمراء[2].

وفي كتابه «اليوم والغد» دعا سلامة موسى إلى ثقافة أوربية وتعليم أوربي، وحضارة أوربية، وأدب أوربي، وتشريع أوربي، وأخلاق أوربية. ومن آرائه فيه: «إن الأوربيين يحتقروننا بحق، ونحن نكرههم بلا حق».

وهو لا يكل من الإعلان عن عدائه للإسلام واللغة العربية في مثل قوله: «أنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب، ونحن لسنا شرقيين، إن إطلاق اسم الشرق على مصر خطأ فاحش، والحضارة العربية هي في الحقيقة حضارة رومانية. إن الرابطة الحقيقية التي تثبت ولا تتزعزع هي رابطة الحضارة والثقافة، رابطتنا بأوربا[3]. ليس من مصلحة الشباب المصري أن يقف على أدب العرب، ويتلمسه مباشرة من الكتب القديمة. وليس من مصلحة بلادنا الدستورية أن يُمدح هرون الرشيد أو المأمون، مع أن كلاً منهما كان حاكماً مستبداً، لا يختلف أي اختلاف عن عبد الحميد الذي خلعه الأتراك عن عرشه، فالحكومات العربية في أرقى مستوياتها حكومات استبدادية، ولا عبرة لما يقال من أن الإسلام كان يأمر بالشورى، فإن عمر بن الخطاب لم يكن يستشير أحداً»[4].

---

(١) كشك: ص ١٨٩.

(٢) كشك: ص ١٨٥.

(٣) كشك: ص ١٨٤.

(٤) كشك: ص ١٨٥.

وقد عارض سلامة موسى الآية الكريمة ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾[1] بقوله: «فلنولِ وجهنا شطر أوربا. يجب أن نخرج من آسيا، ونتجه إلى أوربا، ويعلق الدكتور محمد محمد حسين على ذلك بقوله: مصر ليست في آسيا، فهو يقصد الخروج من العروبة التي تربطه بآسيا ومن الإسلام الذي جاء من آسيا»[2].

ولا يتردد كذلك في قلب الحقائق لتشويه الأدب العربي فيقول: كان أبو تمام شاعراً عربياً. وكان «ملتون» شاعراً إنجليزياً. وقد قال الأول حكمته الخادعة البشعة «السيف أصدق أنباء من الكتب» وقال الثاني: من يقتل إنساناً طيباً فإنه يقتل مخلوقاً عاقلاً هو صورة الله، ولكن من يهلك كتاباً طيباً فإنما يهلك العقل نفسه»[3]. لقد حالت عجمة سلامة موسى دون فهمه للشعر العربي وتذوقه، وكيف يصل إلى فهمه وهو من جامعي أعقاب الثقافة الغربية، الذين يقتنصون شطر البيت من القصيدة لخدمة حربهم ضد العرب والعربية. ومع ذلك فالقصيدة تعكس تفوق العقل العلمي العربي على العقل الرومي. وهو سمو في الحضارة العربية الإسلامية التي لا تسأل النجوم ولا تـؤمن بالطوالع، في انتصاراتها. وكتب الطوالع هذه حولها سلامة موسى إلى كتب «الثقافة»؛ واعتبر قصيدة أبي تمام في فتح عمورية دعوة للسيف ضد العلم والثقافة.

وكمثال للفسق الذي ارتكبه سلامة موسى، في عقول الشباب، صلاة جديدة كتبها بالعامية، ونشرتها له مجلة «الفكر المعاصر» يقول فيها:

---

(١) البقرة: آية ١٤٤.
(٢) كشك: ص ١٧٩.
(٣) كشك: ص ٢٠٥.

- يا الله! نحن بلاليص فارغة، فاملأنا بنعمتك السماوية.
- يا لله! أنت الوابور وإحنا العربات، جرجرنا لملكوت السما
- يا رب! أنت الحنفية وإحنا الجرادل.

ويعلق محرر المجلة على هذا السخف والهذيان! «... ويدل هذا الكلام على شدة عناية سلامة موسى بالمعنى على حساب اللفظ، وهي عناية كان يتوخاها عامداً، لأن المعنى عنده مقدم دائماً على اللفظ، فالأدب كما قال مرة: ليس حلويات يمضغها العاطلون الناعسون، وإنما هو كفاح»[1].

هذا هو كفاح سلامة موسى، وهذا هو الذي عاش من أجله وأعطاه لبني قومه.. بمثله وجهنا فكر شبابنا، وناقشنا الدعاية الصهيونية. وبه وبأمثاله... انتكسنا.

ويذكر الدكتور شوقي ضيف[2] أنه قد قامت معركة حول آراء سلامة موسى. وقد وقف له فيها مصطفى صادق الرافعي بالمرصاد، ورد عليه رداً عنيفاً، بينما وقف إلى جانبه طه حسين، وأيد آراءه بصورة عامة. ولكنه لم يذهب مذهبه في التطرف، فقد كان سلامة موسى دائماً في الطليعة يتقدم الصفوف داعياً بجرأة وحرارة إلى كل بدعة أو دعوة أوربية حديثة في علم أو غير علم وذلك على صفحات الهلال وعلى صفحات مجلة «المجلة الجديدة» التي أنشأها ليخاطب من خلالها الشباب بوجه خاص.

وخطورة سلامة موسى - وأمثاله من دعاة الحضارة الغربية - أنه كان له أنصار تبنوا آراءه ورددوها في كتاباتهم من أمثال محمود

---

(١) كشك: ص ٢٠٧.
(٢) الأدب العربي المعاصر في مصر: ص ١٩٢ وما بعدها.

الشرقاوي في كتابه «سلامة موسى المفكر والإنسان» فقد وصفه بأنه كان له وجه رجل وذهن شاب وحكمة فيلسوف وصبر مكافح وروح متصوف ونفس ملاك وجرأة بطل وقلب طفل واستعلاء مؤمن صادق الإيمان». وقال غالي شكري في كتابه «سلامة موسى وأزمة الضمير العربي» «إني أحس ارتياحاً عظيماً حين أقرر أن سلامة موسى من عظماء عصرنا. أما فتحي خليل في كتابه «سلامة موسى وعصر القلق» فقد قال: إن عام ١٩٥٨ م هو العام الذي مات فيه البطل سلامة موسى»[١].

وإذا كان سلامة موسى عميلاً للإنجليز، حاقداً على الإسلام وتراثه وحضارته فإن «لويس عوض» هو أيضاً عميل للفرنسيين، حاقد مثله على الإسلام ديناً وحضارة وثقافة، كان يرى أن الحملة الفرنسية هي التي بعثت الروح القومية والديمقراطية والحضارة والحكم النيابي في مصر، وأن نابليون كان يحاول القضاء على كل نفوذ أجنبي فيها؛ فهو في رأيه محرر وليس محتلاً مستعمراً. وأشاد بمحاكمة «سليمان الحلبي» قاتل كليبر خليفة نابليون في مصر، على الرغم من أن الفرنسيين حرقوا يده حياً ثم أعدموه على الخازوق، في أبشع طريقة عرفتها الحضارات البربرية، وقد اعتذر عن الفرنسيين في تعذيب المتهمين وأرجع ذلك إلى العرف الذي كان سائداً لدى المماليك والأتراك وليس الفرنسيين. ووصف أبطال المقاومة كعمر مكرم، ومحمد كريم، والمحروقي، وحسن طوبار، وسليمان الحلبي بأنهم خونة وعملاء لتركيا[٢]. وقد نشر آراءه تلك في محاضراته في معهد الدراسات العربية العليا الذي أنشأته الجامعة العربية بالقاهرة، وهو خاص بطلبة الماجستير والدكتوراه في الشئون العربية.

---

(١) كشك: ص ٢٠٧.
(٢) كشك: ص ٨٤ - ٨٨.

ومن هنا تأتي خطورة نشر مثل هذه الآراء على النخبة الممتازة من الشباب العربي المسلم.

وهو يعلن لطلابه في المعهد أن «الحرية» لا تُستعمل في معناها الأصلي في اللغة العربية إلا مقابل «العبودية» وهي بمعناها السياسي والاجتماعي نتيجة لاتصال العرب بالحضارة الأوربية، ولم تُرفع كشعار أو مبدأ أو هدف سياسي واجتماعي في كل الحركات الاستقلالية العربية قبل القرن التاسع عشر.

إنه يريدنا أن نـؤمن بأننا ندين بتعلم الحرية لأوربا التي سلبتنا هذه الحرية، وأن نـؤمن أن عدونا الأول هو ولي نعمتنا، وهو لذلك يرى أن الجزائر ومصر لم تعرفا الحرية إلا بعد احتلال فرنسا لهما. مع أن الدين الإسلامي هو دين الحرية التي هي فيه حق طبيعي لا يحتاج إلى استصدار قانون ولم يعرف أي لون من ألوان العنصرية. وشواهد التاريخ الإسلامي والعربي أكثر من أن يتسع لها هذا المجال في موضوع الحرية.

وهو في دراسته لرفاعة الطهطاوي يرى أنه أخذ آراءه في التسامح الديني عن فلاسفة «التنوير» في أوربا، مع أن البعض يأخذ على حضارتنا تسامحها المطلق الذي لا يحتاج إلى دليل أو دفاع عنه. كما زعم أن الشيخ حسن العطار والطهطاوي أخذا عن كتاب «دليل الجندي المسيحي» لإرازموس فكرتها عن أن الدنيا لا تتعارض مع الدين. مع أن الاهتمام بالدنيا جزء أصيل من تعاليم الإسلام والنصوص فيه أكثر من أن تحصى. والثورة على الرهبانية تعلمتها أوربا من المسلمين أثناء الحروب الصليبية. وفي هذا المعنى يقول غوستاف لوبون: «إن العرب

---

(١) كشك: ص ١٠٧.

هم أول من آمن بما نطلق عليه حرية الفكر والتسامح الديني »[1].

وكما تجنى « سلامة موسى » على أبي العلاء المعري وافترى عليه أنه قال:

العيب كل العيب في لبس العمائم والقلانس
والخير كل الخير في هدم الجوامع والكنائس

فإن « لويس عوض » هو الآخر يتجنى عليه، ويتهمه بأنه عميل للصليبيين، وأن بني حمدان عملاء للروم، وأن المعري ثمرة الصراع الفكري العقائدي في تلك الفترة. وذهب إلى أن المثقفين آنذاك انقسموا بين من يفضلون الحرية الفكرية في ظل الحماية الصليبية، التي أدت إلى التفكك السياسي، وقيام دويلات مدينية على الطراز الإغريقي، وبين الوحدة والتحرر في ظل الدولة الفاطمية، لكن مع القضاء على حرية الفكر. فهو يرى أن الدولة الفاطمية كانت معادية للحرية الفكرية والتواصل الحضاري بين الشعوب، وأن الصليبيين كانوا رسل العلم والفكر والحضارة[2].. مع أن المعري قد مات قبل الحروب الصليبية بأربعين سنة (١٠٥٧ م) وكانت بداية الحروب الصليبية عام ١٠٩٧ م وأن البروتستانتية، أكبر حركة إصلاح ديني في أوربا، كانت من ثمرات الحروب الصليبية، بعد اتصال الأوربيين بالمسلمين واطلاعهم على حضارتهم وسماحة دينهم ومُثُلهم. وجاء تأثيرنا في الصليبيين لأننا كنا الأكثر حضارة في ذلك الوقت، وكنا إذ ذاك المرجع الوحيد المعتمد للفكر والحضارة اليونانية.

---

(١) المصدر السابق: ص ١١٠.
(٢) كشك: ص ١٢١.

وانطلاقاً وتعزيزاً لنظريته بأن المعري هو ثمرة الصراع العقائدي وثمرة احتلال الصليبيين لمدينة حلب وتبادلها بين المسلمين والصليبيين فقد كتب بحثاً نشره في «الأهرام» وصدّره ببيت شعر، ذكر أنه للمعري في وصف مدينة حلب وهو:

صَلِيَت جمرة الهجير نهاراً ثم باتت تغصّ بالصلبانِ

ويريد أن يقول: إن «حلب» قد شقيت بالإسلام حتى جاءها الفرح بعد احتلال الصليبيين لها فباتت تغصّ بصلبانهم وأعلامهم وخوذاتهم[1]. أي أن «لويس عوض» أخذ بيت المعري وحرّفه ودلّس له مناسبة وأخرج منه نظرية. والصحيح أن البيت في وصف الناقة والصليان (بالياء وليس بالباء) نبات شهي للإبل. فناقته شقيت في النهار راحلةً، إلى أن جاءها الليل بالطعام الطيب وهو الصليان. مع أن البيت في الديوان مشروح وفيه معنى الصليان وفيه «وقوله في وصف الناقة»، وهذا منه استهتار بالثقافة والمثقفين والطلاب ومع ذلك فليس المعري وحده من اطلع على الفكر اليوناني، فكل المثقفين المسلمين كانوا كذلك، ولكنهم درسوا ذلك الفكر وتمثلوه وأخرجوه فكراً إسلامياً. وليس الخلاف على تراث اليونان، ولكن على تفسير المناخ الفكري الذي أنتج أبا العلاء وردّه إلى «الفكر الصليبي المتحرّر» كما يراه لويس عوض.

وكما زيّف «لويس عوض» الأدب، فقد زيّف التاريخ، فوصف الجنرال يعقوب (المعلم يعقوب) في عهد الحملة الفرنسية على مصر بأنه

---

(١) كشك: ص ١٢٥.

بطل وطني وأول من نادى باستقلال مصر، وأول من نظم مالية البلاد.. بقي أن نعرف من هو يعقوب هذا.. إنه شخصية انتهازية، كان من صنائع المماليك، ثم صار من صنائع الفرنسيين كان دليل الحملة الفرنسية ومساعدها الأمين في مصر. وكان رفيقاً «لديزيه» في حملته التي احتل فيها الصعيد وأغرقه في الدم. وباسم الفرنسيين ضرب وسجن وعذب وصادر وقتل. وأجبر بعسفه وظلمه وجوره أكثر أهل القاهرة على النزوح منها إلى القرى المجاورة. وعهد إليه «كليبر» بتشكيل فيلق لضرب الشعب والتنكيل به وقهره. وعند خروج فلول جيش الفرنسيين خرج معهم. وعلى ظهر بارجة انجليزية أصيب بالحمى، وأوصى أن يدفن مع «ديزيه» فلما مات وضعوه في برميل خمر، ثم نقلوه إلى مرسيليا[١]. هذا هو يعقوب، الذي جعل منه لويس عوض بطلاً وطنياً مخلصاً مصلحاً.

وطه حسين... أيضاً

إنه يهاجم الذين انصرفوا وتفرغوا للأدب العربي، ويسخر منهم لعدم اطلاعهم مثله على الآداب الفرنسية والفكر الفرنسي، ويفاخر بمدى معرفته «بديكارت» وأفكاره، ويتنقص من قدر «شوقي» لعدم إحاطته بالفلسفة الفرنسية والأدب الفرنسي - مع أن الشاعر يجب أن يستمد مثله الأعلى من أمته، لا أن يلتمسه من أمة غريبة.

وكتابه «مستقبل الثقافة في مصر» ١٩٣٨م مثل كتاب «سلامة موسى» ولكنه أبعد أثراً. وقد دعا فيه إلى حمل مصر على الثقافة الغربية وطبعها بها، وقطع ما يربطها بتراثها التاريخي والإسلامي، وإقامة الحكم على أساس مدني لا ديني، وإخضاع العربية لسنّة التطور

---

(١) كشك: ص ٨٤ وما بعدها.

ودفعها إلى طريق ينتهي بها إلى أن تصبح لغة دينية كالسريانية واليونانية والقبطية[1].

وهو يرى سبيل الحضارة في اقتفاء آثار الأوربيين، خيرها وشرها حلوها ومرها، وما يُحمد منها وما يعاب. وينكر صلات مصر بالشرق وبالعرب ويهاجم الفتح الإسلامي ولا ينكر الفتح اليوناني والروماني.. وذهب إلى أن وحدة الدين واللغة لا تصلح أساساً للوحدة السياسية. ودعا إلى هدم الأزهر باعتباره أثراً من آثار العهود القديمة، ويرى أنه مشكلة تتطلب حلاً. ودعا - كما أسلفنا - إلى تطور اللغة فتكون هناك لغتان: دينية وأخرى عصرية، الصلة بينهما كالصلة بين اللاتينية والفرنسية[2].

وفي عام ١٩٢٦ م نشر كتابه «في الشعر الجاهلي» وبنى دراسته فيه على منهج ديكارت الذي يدعو إلى الشك في كل شيء حتى نصل إلى اليقين على أسس وطيدة. وبهذا المنهج اعتبر الأحكام التاريخية القديمة إضافية يمكن أن يعاد النظر فيها. وقد انتهى إلى نظرية عامة هي نظرية «الانتحال» في الشعر الجاهلي[3]. ويؤخذ عليه أنه غالى في استخدام مذهب الشك حتى أخضع القرآن الكريم للمؤثرات الأدبية البيئية. وقد أحدثت آراؤه ضجة عنيفة اشتد فيها خصومه في الهجوم عليه، مما اضطره إلى التراجع عن رأيه في ما يتعلق بالقرآن الكريم، ثم أعاد طباعة كتابه باسم «في الأدب الجاهلي». وقد أشرنا إلى ذلك بشيء من التفصيل في الفصل السابق.

---

(١) محمد حسين ص ٢٢٩/٢.
(٢) محمد حسين: ص ٢٣٧/٢.
(٣) شوقي ضيف: ص ٢٨٠.

وخطورة آراء طه حسين أنه كان في مركز حساس يمكّنه من التأثير على عملية التعليم والتربية وتوجيهها. فقد عمل أستاذاً في كلية الآداب بجامعة القاهرة ثم مديراً لجامعة الإسكندرية ثم وزيراً للتربية والتعليم.

وكان ممن مضى في هذا الاتجاه «محمد عثمان جلال» الذي ترجم بعض روايات «موليير» إلى العامية[1].

وقد قامت في «لبنان» حركة مماثلة ثائرة على اللغة العربية، تدعو إلى استبدال العامية بها، وإلى استبدال الحروف اللاتينية بحروفها. ويتزعم هذه الحركة - فيما أعلم - سعيد عقل. غير انه ليست تحت يدي - حاليا - المراجع اللازمة عن هذه الحركة بحيث أستطيع عرضها عرضاً وافياً بالغرض.

٣ - هدم الشعور بالوحدة الإسلامية ومقوماتها:

إن أكثر ما كان - وما يزال - يخيف أعداء الإسلام من الغربيين أن يروا الإسلام قوياً، وأن يروا للمسلمين دولة، تجمع شتاتهم، وتوحد قواهم وتنظم شئون حياتهم. وقد عبروا عن مخاوفهم على لسان مفكريهم وكتابهم، فقال القس سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التخلص من السيطرة الأوربية. والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة. من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية[2].

وقال المبشر لورانس براون: إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا أيضاً

---

(١) شوقي ضيف: ص ١٨١.

(٢) جلال العالم: ص ٧٤.

نعمة له. أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير. يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين حتى يبقوا بلا قوة ولا تأثير[١].

وقال «آرنولد توينبي»: في كتابه «الإسلام والغرب» إن الوحدة العربية نائمة. ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ[٢].

وفي عام ١٩٠٧ م عُقد مؤتمر أوربي كبير، ضم القادة والزعماء برئاسة وزير خارجية بريطانيا لبحث الوسائل التي تحول دون انهيار الحضارة الأوربية. وبعد شهر من الدراسة والنقاش قرروا وضع خطة لبذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط، لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربا[٣].

وقال «مورو بيرجر» في كتابه «العالم العربي»: ثبت تاريخياً أن قوة العرب تعني قوة الإسلام. فلندمر المسلمين بتدمير الإسلام[٤].

ويعمل الغرب باستمرار على إبقاء المسلمين بعيدين عن تحصيل القوة الصناعية وإبقائهم مستهلكين لسلعه ومنتجاته الصناعية. ولذلك قال أحد المسئولين في وزارة الخارجية الفرنسية (١٩٥٢ م): فلنعط هذا العالم (الإسلامي) ما يشاء، ولنقوِ في نفسه عدم الرغبة في الانتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي أصبح خطر العالم العربي وما وراءه

---

(١) المصدر السابق: ص ٧٥.
(٢) المصدر السابق: ص ٧٦.
(٣) جلال العالم: ص ٧٧.
(٤) جلال العالم: ص ٧٩.

من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وينتهي معه دوره القيادي في العلم[1].

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، فقد زرع الغربيون في عقول دعاة حضارتهم أن الإسلام دين ساذج، إذا صلح في تنظيم حياة جماعة من البدو فلا يصلح لتنظيم مجتمع جديد في القرن العشرين، وأن أسلوب الحياة الشرقية وتقاليدها ماض بغيض، والشرقيون أخلاط من حثالة الناس يفترسهم الجوع والجهل والمرض والفوضى والانحلال، وأن تخلفهم يعود الى تمسكهم بالإسلام الذي لا يصلح منهاجاً للحياة ولا أسلوباً للحكم.

وقد وجدت هذه الآراء والأفكار صدى لدى كثيرين ممن سحرت أعينهم زخارف الحضارة الغربية فأعمتهم عن الصواب. فقد ألف «الشيخ علي عبد الرازق» أحد شيوخ الأزهر، والذي كان قاضياً في محكمة المنصورة الشرعية، في أوائل هذا القرن، كتاباً أسماه «الإسلام وأصول الحكم» اعتمد فيه على آراء المستشرقين وكتاباتهم في هدم فكرة الخلافة والهجوم على الخلفاء. وفيه أنكر أن تكون الخلافة أو القضاء أو أية وظائف حكومية من الدين في شيء، فهي مراكز دنيوية، والإسلام دين لا دولة ويزعم أن الخلافة الإسلامية في جميع عصورها قامت على القهر والتسلط والغلبة. ويزعم أيضاً أن النبي ﷺ كان نبياً فقط، ولم يكن حاكماً، وأن حكمه في المدينة كان خارجاً عن أعمال النبوة. ودافع عن رأيه بزعمه أنه لا مانع من أن يعمل النبي خارج وظيفة الرسالة. وهو يزعم كذلك أن غاية الفتوح تثبيت السلطان وتوسيع المُلك وأن الإسلام لم يأمر بهذا، بل أمر بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا اكراه في الدين، ويزعم أن الخلافة منصب سياسي فقط لا ديني، بما

---

(١) جلال العالم: ص ٨١.

في ذلك الخلفاء الراشدون؛ وأن الردة كانت ردة سياسية لا دينية، وأن مقاتلة المرتدين كانت للدفاع عن وحدة العرب ودولتهم، فهم لم يخلعوا الإسلام ولكن رفضوا خلافة أبي بكر، وقد قُتلوا باسم الدين، وهو لذلك يتعاطف معهم[1]... هذه الآراء ومثلها معاول لهدم الإسلام من الداخل، وفق خطط الغرب، الذي أراد أن يرسخ في أذهان الناس أن الإسلام لا يمكن أن تقوم على أساسه دولة أو حياة.

واستطاعت الاشتراكية «أن تتسلل الى الحياة الإسلامية متسترة باسم الإسلام، بل ومدعية أنها تستند الى أسس روحية نابعة من صميم الإيمان، ومنبثقة عن روح الإسلام وتعاليمه، حتى تكسب تأييد الجماهير وتأمن ثورتهم عليها. ففي عدد حزيران ١٩٦٥م، من مجلة «منبر الإسلام» التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة وردت العناوين التالية: الأصول الإسلامية لاشتراكيتنا العربية، القرآن صنع جماعة اشتراكية. الاشتراكية تنبع من أعماق إيماننا[2]» وتقول المجلة: لما كانت الأرزاق تصيب الناس نتيجة عملهم ونتيجة لمبدأ تكافؤ الفرص، ولما كان الدين يحض على هذه المبادىء، فالاشتراكية تتصل أشد الاتصال بإيمان الناس بدينهم وتمسكهم بشريعته.

ومجلة «الرسالة» مشهورة، ولها فضل على الأدب في البلاد العربية، وصاحبها أحمد حسن الزيات كاتب كبير، كان لأدبه طابع خاص، وكانت له مدرسة أدبية في البلاد العربية اقتفت آثاره، ومع ذلك فقد انجرف الى ما انجرف اليه الكثيرون من ربط الدين - باطلاً -

---

(١) محمد حسين: ص ٨٦/٢.

(٢) المنجد: ص ٥٤.

بالاشتراكية بقوله: «الاشتراكية من كمال الدين، ومن كمال الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك. إن المجتمع المثالي هو الذي يأمر به الإسلام وتدعو إليه الاشتراكية[1].. إنه يرى أن الدين إذا كمل فهو الاشتراكية. ثم يتوجه الى القارىء بسؤاله: هل أنت قوي الرجاء في أن النظام الاشتراكي يدوم ما دامت الأمة، ويقوم في البلاد العربية ما قامت العروبة، ويقيه الله شر الرجعية والرأسمالية والكراهية حتى يتأصل في الأمة ويتوثق فيجري في القلوب مجرى الدم، وفي النفوس مجرى العقيدة؟! (الرسالة. مارس ١٩٦٥ م)[2].

وفي مقال كتبه «محمد عبد الله العربي» الأستاذ بجامعة القاهرة، ونشرته الرسالة (مارس ١٩٦٥ م) بعنوان «الأساس الروحي لاشتراكيتنا العربية» قال فيه: «اشتراكيتنا ليست ماركسية، فهي تستمد أصولها من تعاليم تراثنا الروحي، الذي نزلت به الأديان السماوية في أرضنا العربية. وهي اشتراكية علمية تهتدي في تطبيقاتها بالعلم، وطلب العلم والاهتداء به فريضة مقدسة. ثم يستشهد بالآيتين الكريمتين. ﴿وقل ربي زدني علماً﴾ (سورة طه آية ١١٤) و﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر آية ٩)... إنها مقدمات صحيحة، ولكنه يستخلص منها نتائج خاطئة.. ثم يتابع قوله: «إن كل خطوة من خطوات اشتراكيتنا العربية ليست سوى ترجمة أمينة لجانب من تعاليم ديننا الروحي، بل إذا أردنا الدقة في التعبير قلنا: إنها إنما قاربت تحقيق هذه التعاليم[3].

---

(١) المنجد: ص ٥٧.
(٢) المنجد: ص ٥٨.
(٣) المنجد: ص ٦٢.

وينكر كاتب آخر أن تكون الاشتراكية شيئاً مستورداً أو ماركسياً بل هي أمر بديهي إسلامي، فيقول: إشتراكيتنا ليست ماركسية لأننا أكبر من ماركس »[1].. لقد أفتى على نفسه.... وهذا يكفي.

ويقرب أحمد بهاء الدين الاشتراكية من النفوس بقوله: إن الشيوعي يرفض وجود الدين ويحارب العاطفة الدينية، بينما يعترف الاشتراكي بالدين ويحترم الحرية الدينية »[2] (الرسالة العدد ٨٨، ١٩٦٥). ويرى كاتب آخر أن الاشتراكية في الإسلام حقيقة أزلية لا مجال فيها لاختلاف الفكر »[3].

ونشرت مجلة « الكاتب الاشتراكية الماركسية الصهيونية الاتجاه، عدة مقالات وصفت فيها النبي ﷺ بأنه زعيم اليسار وواضع مبادئه الأساسية، وصورت الإسلام بأنه ثورة يسارية وأن النبي ﷺ ثائر يساري متطرف[4]. وأن المجتمع الإسلامي الأول كان يتكون من يسار ويمين ووسط. وأن أنتخاب أبي بكر للخلافة، رضي الله عنه، كان انتصاراً للاتجاه اليساري الذي كان يمثله علي وأصحابه. وأن علياً، رضي الله عنه، هو وارث المبادىء اليسارية عن النبي ﷺ، ولذلك كان زعيم اليسار بعده[5]... وهذه دعاية يروج لها الاشتراكيون لاستمالة الشيعة وليؤلفوا قلوبهم ويستغلوا فيهم حب الإمام علي ويدفعوهم الى الاشتراكية... وهي محاولة لطبع الإسلام والتاريخ الإسلامي بطابع اشتراكي ماركسي، الدين منه براء.

---

(١) المنجد: ص ٦٣.
(٢) المنجد: ص ٦٤.
(٣) المنجد: ص ٦٥.
(٤) المنجد: ص ٩٠.
(٥) المنجد: ص ٩٤.

وفي هذا الاتجاه، صدر عن الدار القومية للطباعة والنشر كتاب: «أم الاشتراكيين خديجة بنت خويلد»[1] والمؤلف يفسر الحوادث في الكتاب على هواه، ويقحم «الاشتراكية» في كل شيء. فهو يرى أن إرسال خديجة رضي الله عنها، النبي في تجارتها الى الشام بأنه الأساس للاشتراكية التعاونية؛ وهو إرهاص لقيام دولة الاشتراكية العادلة في بلاد العرب وهي دولة الإسلام، ويستخلص المؤلف أن العرب قد عرفوا الاشتراكية قبل أن يعرفها العالم، وطبقوها كفطرة سليمة بُعثت من أعماق قلب طاهر من نساء العرب[2] ويقول: إن اشتراكيتنا مستمدة من واقعنا التاريخي ومن نبض قلوبنا الإيمان بالكفاية والعدل[3]. ويتابع قوله: كادت خديجة تكون رائدة النظام الاشتراكي في التنمية الاقتصادية الحق، والإصلاح الاجتماعي السليم، بما استنبطته من أفكار واتجاهات لاستثمار تجارتها».. إنه ينسب إليها ما لم تفكر به. ويضيف صورة أخرى في محاولات طبع التاريخ الإسلامي بالطابع الاشتراكي.

وقد دأبت الصحف اليسارية، في بعض البلاد الاسلامية والعربية، على نشر صور كاريكاتورية تستهزئ، بالدين وأهله، ففي آذار ١٩٦٢ م ظهرت في جريدة «المساء» القاهرية صورة كاريكاتورية تمثل ديكاً ناشراً جناحيه وتحته تسع دجاجات، وتحت الصورة العبارة التالية «محمد أفندي وزوجاته التسع». وقد أثارت هذه الصورة استياء العالم الإسلامي. حتى إنها قُدمت الى مجلس جامعة الدول العربية وكان منعقداً يومئذ في الرياض[4].

---

(١) المنجد: ص ٦٤.
(٢) المنجد: ص ٦٧.
(٣) المنجد: ص ٦٨.
(٤) المنجد: ص ٩٩.

ومن هذه الصور أيضاً ما نشرته «أخبار اليوم» مرة، فقد نشرت صورة لاعب كرة يضرب بقدمه كرة قدم، ولم تكن الكرة سوى عمامة شيخ من شيوخ الأزهر. وثار يومئذ أحد شيوخ الأزهر محمد الغزالي وخطب خطبة شديدة ينعي فيها الإسلام وحرمته وكرامته، واعتذروا للشيخ الغزالي يومئذ عن هذه الصورة.. وكانت مجلة «روز اليوسف» تنشر صوراً متتابعة عن «الشيخ متلوف» الذي كان رمزاً ««للشيخ مخلوف» شيخ الأزهر آنذاك[1].

والعلمانية... وما أدراك ما العلمانية..!

تسللت هي الأخرى إلى كثير من البلاد العربية والإسلامية، وهي طريقة الحياة التي دعا إليها الغربيون في الحكم والإدارة. وهي في حقيقتها دعوة إلى الاعتماد على مصدر واحد للمعرفة هو العقل، مع رفض تام لسائر المصادر الأخرى، وعلى رأسها الوحي، الذي جاءت الأديان السماوية به. ومن هنا وجب التفريق بين العلمانية، بهذا المفهوم، وبين العلم الذي يعني استغلال طاقات الإنسان والكون لما فيه سعادة البشرية ورخاؤها، ولما يعطي للحضارة عوامل حركتها واستمرارها. والإسلام لا يعارض العلم، ولكنه يعارض العلمانية.

لقد وردت كلمة العلم في القرآن الكريم مراراً، لتدل على الدين نفسه الذي علمه الله أنبياءه، وعلى النواميس التي يسيّر الله بها ملكوته العظيم وعلى الحقائق الكبرى الموجودة عند الله سبحانه في «أم الكتاب» وعلى القيم الدينية التي نزلت من السماء. فالدين والعلم سواء في القرآن.

والدين الإسلامي هو الذي بصّر العرب الجاهليين الذين كانوا حفاة جفاة وحرّكهم وهيأ لهم الأرضية الصالحة لبناء أروع حضارة عرفها

---

(١) المنجد: ص ١٠٠.

التاريخ، وعرفها الغرب عبر الجسور التي أقامتها الأحداث بين الشرق والغرب بطرائق متعددة.

والعلم طاقة من طاقات الإنسان، وهو حصيلة تعامل قدراته العقلية والحسية مع الطبيعة والأشياء. والدين منهج كامل للحياة يسعى الى تنظيم علاقات الإنسان بالطبيعة، وبكل ما له علاقة به: نفسه وأسرته ومجتمعه وحكومته والعالم والكون. وهي علاقات تنبثق عن إدراك وإيمان عميق بالله، والتزام بمنهجه، أي بدينه الذي ارتضى. وإزاء هذا الشمول الذي يعنيه الدين الإسلامي فليس العلم سوى علاقة واحدة من مجموع علاقات جاء الإسلام لكي ينظمها على أساس صالح، ويسعى الى تحديد أهدافها الإيجابية، ويسلكها جميعاً في نظام معجز، ينبثق عن تصور كامل لوضع الإنسان في الكون والفطرة التي فطر الله الكون والأشياء والناس عليها. ومن ثم فليس للعلم أن يكون منهجاً أو ديناً للناس وإن ادعى العلمانيون ذلك. ومن هنا تطلع علينا كل يوم مناهج وضعية ما أنزل الله بها من سلطان.

إن الاندفاع الأعمى وراء العلم والسعي الحثيث لفك المزيد من طلاسمه وكشف أسراره سيقود البشرية إلى الدمار حتماً بانطلاق قواه الخارقة التي يعجز الإنسان عن السيطرة عليها. إن العلم إذا لم تحدّد أخلاقيات ومُثُل توجّه العاملين في حقله والساعين الى اكتشاف عوالمه سيغدو طريقاً الى بربرية عاتية، تفوق بربرية العصور الأولى.

إن ممارسة العلمانية في الحياة العامة، وتطبيق مبادئها في أمور الحكم والإدارة لا بد أن تؤدي الى انحرافات خطيرة: فهي تضع الحواجز المقفلة بين عالمي الروح والمادة، وتفصل عقل الإنسان عن روحه وعن جسده وهي لا تنظر الى القيم الروحية نظرة إيجابية، وإنما تعتبرها قيماً سالبة معطّلة، ولا تشركها في التخطيطات والنشاطات الجماعية، وتقوم

بتخطيط الأنظمة والقوانين التي تنظم العلاقات الاجتماعية مجردةً عن هذه القيم الروحية. وهي تقرر الفردية المطلقة للقيم الروحية ولا تلتفت الى ما كان منها قاسماً مشتركاً في المجتمع الذي تسوده والتي يجب أن تحافظ على ايجابيتها بسبب طابعها الجماعي؛ كالتكامل الاجتماعي والتعاون والتضحية والإيثار ويقظة الضمير.

وتفرض العلمانية تطبيق نظمها من الخارج فقط، دون اعتبار للوازع الداخلي مما يجعل في إمكان المرء مخالفة قوانينها إذا أحس بأنه في مأمن من الرقابة الخارجية، لعدم وجود الوازع الداخلي عنده. ويجرّه ذلك الى ألوان من الانحراف والشذوذ. وعلى ذلك فإن قوانينها تبقى عرضة للتمرد والعصيان. لأنها لا تلائم تكوين الإنسان الذاتي القائم على التوازن الدقيق بين الروحية والمادية، مما يدفعها دائماً الى إعادة صياغة نظمها وقوانينها وتعديلها لضمان الطاعة والتوافق. وخلال ذلك يتبدّد الكثير من الوقت والجهد والإمكانات.

وتدعو العلمانية إلى فصل الدين عن السياسة، بدعوى أنهما ضدان لا يجتمعان. مع أن الدين منهاج شامل للحياة البشرية في شتى جوانبها. وليست السياسة سوى جانب واحد من هذه الجوانب في الحياة، من حيث هي أسلوب ينظم علاقة الحاكم المسلم بالمحكوم وبالشعوب الأخرى. والدين مع ذلك يطبع السياسة بالطابع الأخلاقي، وهو شيء تفتقده الأنظمة العلمانية التي تسير على مبدأ الميكافيلية الذي ينادي بأن الغاية تبرر الوسيلة، دون اعتبار لأي قيمة خلقية. أما النظام الإسلامي فلا تنحرف فيه السياسة عن التزامها الخلقي نظراً لطابعه الأخلاقي الأصيل.

وتُحدث العلمانية ازدواجاً في شخصية القادة، إذ كثيراً ما يغرقون في ملذاتهم وينحرفون في أخلاقياتهم وينكصون عن تطبيق النظم التي

أوصلتهم إلى مراكز القيادة، لانعدام الجانب الروحي الأخلاقي في تلك النظم وفي حياة أولئك القادة.

وتؤمن العلمانية بالتطور المطلق الذي يشمل الجوانب المادية والبشرية، ولا تلتفت إلى الجوانب الجوهرية الروحية الثابتة في كيان الإنسان. فالإنسان في نظرها كائن دائم التطور، ولا حدود لتطوره وترسم مناهجها على هذا الأساس، وهي مناهج قاصرة ومتأرجحة ومنحرفة، لأنها تهمل جانب الروح بدلاً من أن ترتكز عليه.

وأخطر ما في العلمانية أنها تُغفل التجربة التاريخية للأمة بجانبيها: الحضاري والعقائدي؛ تلك التجربة التي يجب أن تكون المنطلق الرئيسي لمناهج تلك الأمة وسير حكوماتها في كل زمان، بما تملكه من رصيد العقيدة والحضارة. فالأمة نتاج تعامل دائم مع تاريخها الديني والحضاري بما يحتويه من قيم وخصائص ذاتية. والعلمانية تفصل الأمة وجدانياً وفكرياً وعلمياً عن تلك القيم والمناهج والمثل وتقطعها من جذورها عن هذا التاريخ، وتقيم بينها وبينه هُوة سحيقة دون أن تربطها به رابطة أو يشدّها إليه سبب، لأنها لم تتعامل معه يوماً ولا تمثلت قيمَهُ، وفي ذلك تفتيت لطاقات الأمة، وصدام دائم عنيف بينها وبين النظم العلمانية التي تستهدف قهرها بالقوة باتباع مبادىء ونظم لا تنسجم مع تكوينها الذي لعبت التجربة التاريخية دوراً أساسياً في صياغته وتعميقه وإغنائه بالخبرات والأحداث. وهذا هو سبب الفشل الذريع الذي انتهت إليه كل النظم العلمانية في العالم الإسلامي سواء كانت ديمقراطية برلمانية أو انقلابية عسكرية.

ويبقى الإسلام هو المنهج الإلهي المتفرّد، الذي يعرف كيف يخاطب الإنسان ويتعامل مع تكوينه المعقد ونسيجه الدقيق. وهو المنهج الذي يختلف عن كل منهج وضعي رسمه أو أعدّه إنسان. فهو صورة متكاملة

تضم جوانب الوجود الإنساني ومتداخلة لا تسمح بالفصل بين هذه الجوانب ومتوازنة ترفض طغيان وتحكّم قيم ونشاطات على حساب قيم ونشاطات أخرى.

وقد عرف التاريخ دولاً عظيمة انهارت، وحضارات عريقة سقطت، وكيانات قوية تفتت، وامبراطوريات دينية تمزّقت، لأن مجموعة المبادىء والقوانين التي حكمتها كانت تنقصها صفة أو أكثر من صفات التكامل والتداخل والتوازن.. لأنها من صنع غير الله.

والحضارة الغربية ليست سوى غمرة المدنيّة المضلِّلة وبهرجها الذي يستر فقرها الروحي؛ وهي سائرة بخطوات واسعة إلى الفناء المحتوم الذي أصاب الحضارات السابقة. تلك سنة الوجود. ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وفكرة القومية أيضاً... إنها من ثمار الحضارة الغربية...

وهي تعني الوطنية الإقليمية التي تقوم على الجنس لا على الدين. وهي صدى للاتجاه الأوربي نحو فكرة القومية في القرن التاسع عشر. وكان المبشرون بهذه الدعوة متأثرين بالتفكير الأوربي كما يبدو من كتاباتهم وخطبهم. وقد نشأت هذه الفكرة نتيجة للتوسع الاستعماري، وبعد اكتشاف أمريكا وأواسط أفريقيا. وكانت الحرب الأمريكية في سبيل الاستقلال والثورة الفرنسية من بعدها في أواخر القرن الثامن عشر، هما نقطة البداية لهذه الحركة. وقد كانت حروب القرن التاسع عشر تعبيراً عن ظهور الروح القومية التي كانت سبباً في تقويض الامبراطوريتين النمسوية والعثمانية، والتي قامت على أساسها الوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية. ثم ارتفعت الأصوات في كل مكان تنادي بالوطنية والقومية والتغنّي بأمجاد الوطن والتضحية في سبيله.

وقد ظهر هذا الاتجاه في مصر أولاً. ولازمه اتجاه شعري قوي لإحياء مجد مصر القديم. وظهرت النعرة الفرعونية منذ ١٩٢٠م،

ونشطت الدعاية لها في الندوات والصحف، وظهر رأس أبي الهول على طوابع البريد وأوراق النقد، واتخذه النحّات «محمود مختار» شعاراً لتمثال نهضة مصر[1] الذي وضع نموذجه في باريس ١٩٢٠ م. وظهرت آثار هذه النزعة في أعمال البناء والزخرفة والأوراق الحكومية الرسمية. وانزلق إليها شعراء كبار كشوقي وحافظ. ويمثل هذه النزعة محاضرة ألقاها «مرقص باشا سميكة» في المتحف القبطي في الجامعة الأمريكية (١٩٢٦ م) ذهب فيها إلى أن العرب في تاريخ مصر غزاة دخلاء وأن المصريين هم أقباط مسلمهم ومسيحيّهم، وهو يبدي استياءه وحزنه لسيادة الحضارة العربية في مصر بدخولها في الإسلام[2].

وتزعمت هذه الاتجاه صحيفة «السياسة الأسبوعية» وأعان على ذلك رئيس تحريرها «محمد حسين هيكل» في شطر من حياته قبل أن يعدل اتجاهه إلى الاتجاه الإسلامي. فقد ذهب إلى أن الصلة بين المصريين وأجدادهم الفراعنة لم يقطعها تغيّر اللغة من الهيروغليفية (لغة الفراعنة) إلى العربية، ولا تغيّر الدين من الفرعونية إلى المسيحية والإسلام[3]. وقد جمع هيكل مقالاته التي كتبها في هذا الاتجاه في كتابه «ثورة الأدب» وفيها ذهب في صراحة إلى أنه ينبغي أن تُلتَمَس مصادر الأدب المصري الحديث في الأدب الفرعوني القديم فيُدرس تاريخه وأساطيره ويُستلهَمُ منها في الأدب. ووضع عدة قصص استوحى فيها تاريخ الفراعنة وأساطيرهم[4].

---

(١) محمد حسين: ص ١٤٦/٢.
(٢) محمد حسين: ص ١٤٨/٢.
(٣) محمد حسين: ص ١٤٩/٢.
(٤) شوقي ضيف: ص ١٩٥.

ونشرت صحيفة «السياسة» بياناً وقّعه: محمد زكي عبد القادر ومحمد الأسمر، ومحمود عزت موسى، ومحمد أمين حسونة، وزكريا عبده، ومعاوية محمد نور دعوا فيهه إلى انتاج أدب مصري محلي، لا شرقي ولا غربي، ولا يتناول حياة الشرق العربي. وكرّسوا هذه الدعوة في الفن والمسرح والأناشيد[١] مستمدّين إلهامهم من الأدب الفرعوني. ودعوا إلى أن تقوم نهضة كل شعب عربي على حدة، على أساس من تراثه القومي المحلي. وقد دعا «أحمد لطفي السيد» إلى هذه الآراء بحماس وحرارة، فوصف أي تكتل عربي أو إسلامي في نطاق جامعة عربية أو إسلامية بأنه وَهْم وخيال، إذ أن على كل شعب أن ينهض على أساس من عصبيته القومية[٢] وعندما أسندت إليه ادارة جامعة القاهرة فتح أبوابها للفتاة المصرية وحقق حلم صديقه قاسم أمين. وقد شغل منصب وزير التربية والتعليم كما شغل هذا المنصب محمد حسين هيكل أيضاً ومن هنا تأتي خطورة آرائهما وبُعد أثرها في أجيال الشباب. وإلى مثل ذلك ذهب «محمد عبد الله عنان» إذ قال: إنه من الخطأ البيّن أن تُنْظَم مصر في سلك البلاد العربية إذا تعلق الأمر بالناحية القومية، فالقومية المصرية أثيلة منذ أيام الفراعنة، وإن التعلق بالوحدة العربية المرتقبة مضيعة للوقت، وضار بجهود الأمة العربية لإنه إغفال للحقائق، وانصراف عن الظروف الخاصة لكل بلد، وذهب إلى أن مصر عربية بلغتها فقط لا بخواصها الجسمية والقومية، فقد ورثت الدين الإسلامي ولغتها العربية عن غزاتها المسلمين[٣].

---

(١) محمد حسين: ص ١٥١/٢.

(٢) محمد حسين: ص ١٥١/٢. وشوقي ضيف: ص ٢٥٨.

(٣) محمد حسين: ص ١٥٣/٢.

وفي عام ١٩٢٦م أوفد المليونير اليهودي الأمريكي «روكفلر» الأديب الأمريكي «برستد» صاحب كتاب «انتصار الحضارة» المليء بالضلال والفساد، أوفده ليعرض على مصر عشرة ملايين دولار لإنشاء معهد للدراسات الفرعونية في مصر[١]، لسلخ مصر عن عروبتها وإسلامها.

وفي كتاب «قضية العرب» قال «علي ناصر الدين»: قضية العرب هي قضية الإيمان بالوطن للوطن كقضية الإيمان بالله لله. ويقول: نحارب الجهل والفقر والمرض والظلم وكل عصبية إلا العصبية القومية، ونفصل الدين عن السياسة، ونحرّم على رجال الدين الاشتغال بها[٢]. ويشرح القومية بقوله: العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب، المؤمنين العريقين، من مسلمين ومسيحيين، لأنها وُجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية في هذه الحياة الدنيا[٣].

وفي هذا الصدد يقول «محمود تيمور»: لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة فإن القومية العربية هي نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي، وإن كتّاب العرب في أعناقهم أمانة، هي أن يكونوا حواريين لهذه النبوة الصادقة يزكّونها بأقلامهم وينفخون فيها من أرواحهم[٤].

ويذهب «عمر الفاخوري» مذهب تيمور فيقول: لا ينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية، أو المبدأ العربي، ديانة لهم، يغارون عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي الكريم، وكما يغار المسيحيون على إنجيل عيسى الرحيم[٥]... إنها - كما جعلها - ديانة ازاء ديانة، وعقيدة

---

(١) الصواف: «المخططات العالمية لمكافحة الإسلام» ص ١٤٢.
(٢) الصواف: ص ٥٠.
(٣) الصواف: ص ٥١.
(٤) الصواف المخططات العالمية لمكافحة الإسلام ص ٥٢.
(٥) الصواف: ص ٥٢.

إزاء عقيدة.. مع أنه لا داعي إلى مثل هذا العنت، فلا تعارض ولا تناقض في أن يكون الإنسان عربياً ومسلماً في آن واحد، فإن العرب مادة الإسلام.

٤ - هدم التربية والتعليم:

وضع المحتلون الغربيون في بلاد الشرق الإسلامي والعربي سياسة تعليمية لا تدرس شيئاً عن حقيقة الإسلام، سوى أنه عبادات وأذكار وصلوات وتسابيح وطرق صوفية وقرآن يُقرأ من أجل البركة، ودعوات نظرية إلى مكارم الأخلاق. أما الإسلام كنظام سياسي واجتماعي واقتصادي وتربوي وتعليمي فلم يُدرّس منه شيء للطلاب، وإنما دُرّست بدلاً منه الشبهات التي وضعها المستشرقون والمبشرون والصليبيون الأوربيون، ليفتنوا بها المسلمين عن دينهم. وصُوّرت لهم أوربا على أنها مهد الحضارات وصانعة المعجزات، وأنها مارد جبار لا يقف في طريقها شيء، وأن الشرق لا يُرجى قيامه إلا إذا اتبعها.

والمدارس الغربية في الشرق العربي والإسلامي مظهر من مظاهر هذا الغزو الفكري الغربي. وقد كان طلابها من أبناء الأثرياء والطبقات العليا من الوزراء والحكام بنين وبنات. وكانت تُعد تلاميذها لأسمى المناصب. وقد أقبل عليها أبناء الطبقة الوسطى تقليداً لأبناء الأثرياء وإعجاباً بنظامها المحكم الدقيق، وبراعة تلاميذها في اللغات الأجنبية التي تعد صاحبها لكثير من الأعمال المربحة المربحة.

وكانت هذه المدارس تقوم في منهاجها وبرامجها على أساس علماني حتى يمكن أن يحقق أهداف منشئيها وغاياتهم ويصور ذلك قول المبشر «تاكلي»: يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسلمين قد زُعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية. وما دام المسلمون

ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشىء لهم المدارس العلمانية ونُسهّل التحاقهم بها، لأن هذه المدارس تُساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب»[1].

ويقول المستشرق «هاملتون جب»: لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً، حتى انحصرت في طقوس محدودة. وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً على غير وعي أو انتباه. وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يَعُد من الممكن الرجوع فيه. إن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على الشباب. كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني[2]».

ويشير المبشر «وليام جيفورد» إلى غاية هذه المدارس بقوله: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية، بعيداً عن محمد وكتابه[3].

وتعتبر هذه المدارس عاملاً هاماً في تقوية النفوذ العربي في البلاد العربية والإسلامية، فقد تحدث القائد الفرنسي «بيير كيللر» عن المعاهدة الفرنسية اللبنانية فقال: «إن التربية الوطنية كانت كلها تقريباً في أيدينا، وفي بداية حرب ١٩١٤ - ١٩١٨م كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا. وكان من بين هؤلاء فتيان وفتيات، ينتمون إلى عائلات إسلامية عريقة، مما جعل الجمعية المركزية السورية التي تألقت في باريس تعلن عام ١٩١٧م أن جميع ميول السوريين وعواطفهم تتجه نحو فرنسا، بعد أن تعلموا لغتها وخبروها على

---

(١) جلال العالم: ص ٧٣.
(٢) جلال العالم: ص ٧٤.
(٣) جلال العالم: ص ٦٨.

مر الأجيال. وتأكدوا من إخلاصها وتجرّدها. إن كلية «عينطورة» في لبنان هي وسط ممتاز للدعاية الفرنسية. إن مؤسساتها تعمل دون ملل لتغذية النفوذ الفرنسي، مثل معهد الدراسات العبرية في القدس، ومعهد الدراسات الإسلامية في القاهرة، والمدرسة الإكليريكية الدومنيكانية في الموصل. إن انتشار لغتنا وإشعاع حضارتنا وثقافتنا وأعمالنا الإنسانية وعظمة الأفكار والعبقرية الفرنسية هي الأعمال المكملة لنا ولسوف لن نهملها أبداً[1]».

وتحدث «اللورد لويد» المندوب السامي البريطاني في مصر، في خطاب له في «كلية فيكتوريا» بالإسكندرية فقال: «لقد أوجد اللورد «كرومر» شركة وطيدة بين بريطانيا ومصر، وهي مهما تغيرت أشكالها لازمة للشريكتين لاستمرار التفاهم المتبادل بينهما، وهذه غاية تأسيس كلية فيكتوريا، وهي غاية اعتقد أن الكلية تحققها. وليس من وسيلة لتوطيد هذه الرابطة أفضل من كلية تُعلِّم الشبان من مُختلف الأجناس المبادىء البريطانية العليا. كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ في محيط انجليزي في كلية فيكتوريا. إنَّ محبتهم لها توحد بينهم. إن تعليم الشباب فيها ينمي فيهم من الشعور الإنجليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة التفاهم بين الشرق والغرب كما كانت الاسكندرية في أيام عظمتها في عهد البطالسة[2] (الرومان).

إن للتربية طبيعة خاصة، ومهمة محددة، يوضحها «جون ديوي» أبو التربية الحديثة؛ بقوله: إن الأمة إنما تعيش بالتجديد. وإن عمل

---

(١) محمد حسين: ص ٢٨٦/٢.

(٢) محمد حسين: ص ٢٨٨/٢.

التجديد يقوم على تعليم الصغار بطرق متنوعة تكوّن من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ونظرية حياتها، وتصبهم في قالب عقائدها ومناهج حياتها[1]. والتربية بضاعة محلية لا تُصدر ولا تُستورد. كل أمة لها تربية مستقلة بذاتها، محتفظة بتاريخها. إننا أخطأنا حين جعلنا بعض الإنجليز يربون جيلنا لأنهم صرفوه إلى التربية الإنجليزية، ولم يوجهوه إلى التربية الأمريكية الصرفة. ولذلك استغنينا عنهم، ولن نسمح لمدرس غير أمريكي بأن يدخل مدارسنا ويربي أجيالنا كما يريد[2]».

ويؤكد هذه النظرة إلى التربية أكبر خبراء التربية في بريطانيا، «برسي نن» بقوله: إن التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربّوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها. إن وظيفة التربية أن تمنح القوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ[3].

ويقول البروفسور كلارك: إن التربية تسعى للاحتفاظ بنظريةٍ سَبَقَ الإيمان بها وعليها تقوم حياة الأمة وجهادها في سبيل تخليدها ونقلها إلى الأجيال القادمة[4].

ومن روسيا، يقف «كوفيرين» هذا الموقف من التربية فيقول: «العلم الروسي ليس قسماً من أقسام العلم العالمي. إنه قسم منفصل قائم بذاته، مختلف كل الاختلاف. إن سمته الأساسية أنه قائم على أساس فلسفة واضحة متميزة هي الفلسفة المادية التي قدّمها ماركس وأنجلز ولينين

---

(١) الغضبان: ص ٧.
(٢) الصواف - أثر الذنوب: ص ٧٨.
(٣) الغضبان: ص ٨.
(٤) الغضبان: ص ٩.

وستالين. وإننا نريد أن نخوض في مجال العلم الطبيعي وفي أيدينا هذه الفلسفة، ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض فلسفتنا المادية بكل حزم وقوة[1].

كل هؤلاء يرون أن لكل أمة فلسفتها التربوية الخاصة المتميزة التي تنطلق من مُثُلها وقيمها وعقيدتها وتاريخها وحضارتها. وأن مهمة التربية هي نقل ذلك كله بأمانة إلى أجيال الأمة المتتابعة، لأنها بذلك تحقق بقاءها وتطوّرها واستمرار حضارتها. ومن هنا فإن النظر إلى المدنيّة الغربية على أنها القوة الوحيدة لإحياء الحضارة الإسلامية الراكدة، من شأنه أن يدخل الضعف على ثقة المسلمين بأنفسهم، ويدعم بطريقة غير مباشرة الزعم الغربي القائل بأن الإسلام جهد ضائع.

ويقوم الإسلام والحضارة الغربية على فكرتين متناقضتين في الحياة ولا يمكن أن تتفقا. ولذلك فإن التربية الغربية قائمة على التجارب الثقافية الغربية وعلى مقتضياتها. وتنشئة الشباب الإسلامي على أسس التربية الغربية لا تخلو من شوائب معادية للإسلام.

ويتحدث الأستاذ محمد أسد في كتابه «الإسلام على مفترق الطرق» عن هذا الموضوع فيقول: إن التنشئة الغربية لشباب المسلمين ستُفضي (تؤدي) حتماً إلى زعزعة إرادتهم في أن يعتقدوا أو أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم هم ممثلو الحضارة الإلهية الخاصة التي جاء بها الإسلام وليس ثمة من ريب في أن العقيدة الدينية آخذة في الاضمحلال بسرعة بين المتنوّرين الذين نشأوا على أسس غربية، لأن الجو الفكري في المدنيّة الغربية الحديثة يناقض الدين. فالإيمان والإلحاد ينتقل أحدهما إلى

---

(١) الغضبان: ص ٩.

الإنسان عن طريق بيئته الثقافية. إن الجو الديني في كثير من بيوت المسلمين قد بلغ حداً من التدنّي والانحلال الفكري بحيث أخذ يثير في الأحداث الناشئين عوامل الإغراء الأولى لأن يُوَلّوا الدين ظهورهم. أما في حال تعليم ناشئة المسلمين على أسس غربية فإن التأثير سيكون على الأرجح موقفاً عدائياً من دينهم[1].

وحينما يعارض الإسلام أسس التربية الغربية فإنه لا يناقض العلم ولا يحاربه، فما من دين حثّ على التقدم العلمي كما حثّ عليه الإسلام وإن الاهتمام والتشجيع الذي لقيه العلم والعلماء انتهى إلى تلك الحضارة العلمية والفنية الزاهرة أيام الأمويين والعباسيين وفي الأندلس. وإن الغربيين خير من يعرف ذلك؛ فمدنيّتهم مدينة لمدنيّة الإسلام في كل مظاهرها.

«إن إهمال المسلمين، وليس النقص في التعاليم الدينية هو سبب الانحطاط الحاضر. إن المسلمين إذا أرادوا أن يظلوا مسلمين فلا يجوز أن يتبدّلوا بحضارة الإسلام الروحية حضارة أوربا المادية[2]».

إن «المعرفة» ذاتها لا شرقية ولا غربية. فهي عامة كحقائق الطبيعة العامة، إلا أن وجهة النظر التي تُرى منها وتُعرض من خلالها تختلف باختلاف المزاج الثقافي للشعوب. فالعلوم ليست في ذاتها مادية ولا روحية، ولكنها يمكن أن تنقلب إلى هذا المظهر أو ذاك، حسب الاستعداد العقلي الخاص. إن الغرب مع عقليته المثقفة إلى درجة قصوى ذو استعداد مادي. وهو من أجل ذلك مناهض للدين في مدركاته وفي افتراضاته الأساسية. وكذلك حال نظام التربية الغربية على وجه العموم.

---

(١) محمد أسد: ص ٦٧ - ٦٩.
(٢) محمد أسد: ص ٧١.

وليست دراسة العلوم الحديثة التجريبية هي المضرة بالثقافة الإسلامية، إنما المضر هو روح المدنيّة الغربية، التي يتناول المسلم بها تلك العلوم ووجهة النظر الأوربية في عرضها. إن المشكلة لا تتعلق بمادة العلوم ولكن بأسلوبها.

يجب أن يشجع الإقبال على العلوم الرياضية والطبيعية، فإذا ما وصلنا إلى حدود البحث العلمي فيجب أن نستخدم نظرنا العقلي مستقلّين فيه عن النظريات الفلسفية الغربية. وعن طريق الاتجاه الإسلامي العقلي الخاص لا بد أن نصل إلى نتائج في المعقولات أفضل ومخالفة للنتائج الغربية الحديثة.

إن تعليم الفلسفة الأوربية والأدب الأوربي والتاريخ العام كما يراه الغربيون أمر يجب أن نحتاط له وأن نحذر منه. إن دراسة الأدب الأوربي يجب أن تقف عند حدود قيمتها الحقيقية اللغوية فقط. إن المبالغة في الاهتمام بتدريس هذا الأدب يجعل الشباب يقبلون عليه بثقة عمياء قبل أن يدركوا جوانبه السلبية إدراكاً كافياً، فيندفعون إلى تقليد الحضارة الغربية.

إن تعليم الأدب الأوربي على الشكل الذي يسود اليوم الكثير من المؤسسات التعليمية الإسلامية يقود إلى جعل الإسلام غريباً في عيون الشباب المسلم، ومثل هذا ولكن إلى حد أبعد يصدق على التعليم الأوربي للتاريخ العام؛ إذ لا يزال الموقف الأوربي فيه (رومانيون وبرابرة) يظهر بجلاء، ثم إن لهذا العرض في التاريخ هدفاً خفياً، ذلك أن يدلل على أنَّ الشعوب الغربية ومدنيّتها أرقى من كل شيء جاء أو يمكن أن يجيء إلى هذا العالم، لخلق نوع من التبرير الأدبي لسعي الأوربيين إلى السيطرة وإلى القوة المادية[1]. إن التأثير الوحيد الذي يمكن أن يتركه مثل هذا

---

(١) محمد أسد: ص ٧٥.

التثقيف التاريخي في عقول الشباب من غير الشعوب الأوربية هو شعور هذه الشعوب بالنقص في ما يتعلق بثقافتهم الخاصة وبماضيهم التاريخي الخاص وبالفرص السانحة لهم في المستقبل. وهكذا يتربون تربية منظمة على احتقار ماضيهم ومستقبلهم. اللهم إلا إذا كان مستقبلا مستسلماً للمثل العليا الغربية[1].

إن على علماء المسلمين أن يعملوا جهدهم لتعديل تعليم التاريخ العام في المدارس الإسلامية، بعد تمحيص أساس للبحوث التاريخية، وكتابة تاريخ جديد للعالم من وجهة النظر الإسلامية إنها مهمة شاقة، ولكنها ممكنة، وهي مع ذلك واجبة.

إن الشاب المسلم وهو يطلب العلم في الخارج يجب أن لا يعتبر أن المدنيّة الغربية أرقى من مدنيّته. إن تفوق ثقافة ما أو مدنيّة ما على غيرها لا يمكن أن يقوم على المعرفة المادية الواسعة فحسب، ولكنه يقوم زيادة على ذلك على نشاطها الخلقي وعلى قدرتها في أن توفق بين نواحي الحياة الإنسانية كلها. وفي هذه الناحية يسمو الإسلام على كل ثقافة أخرى. فيجب علينا أن نتبع أوامر الإسلام حتى يمكن أن نبلغ إلى أقصى ما يستطيع البشر أن يبلغوه. إن الشر الذي يحدثه التأثير العقلي للمدنية الغربية في الجماعة الإسلامية هو أبعد مدى من الفائدة المادية التي تمنّ علينا بها تلك المدنيّة. إن فقرنا العلمي وتأخرنا الفكري لا يوازنان بالتأثير المميت في قوى الإسلام الدينية الكامنة في تقليدنا غير المتبصّر للتعليم الغربي.

إن الإسلام فلك ثقافي مستقل، ونظام اجتماعي واضح الحدود فإذا امتدت مدنيّة أجنبية بشعاعها إلينا، وأحدثت تغييراً في جهادنا الثقافي،

---

(١) محمد أسد: ص ٧٦.

وجب علينا أن نتبيّن لأنفسنا إذا كان هذا الأثر الأجنبي يجري في اتجاه إمكانياتنا الثقافية أو يعارضها، وما إذا كان يفعل في جسم الثقافة الإسلامية فعل المصل المجدّد للقُوى أو فعل السم.

والإسلام قوة دافعة في عالم الضمير وعالم الواقع على السواء. وهدف أعدائه إقامة العزلة بينه وبين الحياة. ولا تتحقق أهداف الإسلام إلا بـالـتربيـة العميقـة الـتي تتحول إلى سلوك واقعي في حيـاة الأفراد والجماعات. ولا يتحقق ذلك إلا بالعودة إلى الدين واللغة والتراث، لنستخلص من ذلك كله قوانيننا وأفكارنا ووسائلنا في التربية.

٥ - هدم الأخلاق:

شُغل الناس بعد الحرب الأولى بقضية الجديد والقديم. ودارت معارك بين أنصار الفريقين في الصحف والرأي العام. وكان القديم يعني كل ما يمتّ الى التراث من دين أو تقاليد، وكان الجديد يعني كل ما نُقل عن الأوربيين وقد بدأت هذه المعركة منذ أيام محمد علي، حين أرسل مصريين في بعثات دراسية الى أوربا، وحين قدم الى مصر كثير من الأساتذة الأوربيين وخبرائهم واشتدت في عهد إسماعيل الذي سعى الى جعل مصر قطعة من أوربا. وبعد الحرب تدفق على مصر وسائر بلاد الشرق طوفان من مختلف الأجناس، أشاعوا فيها الفجور والفساد والانحلال، حتى غدا ذلك تجارة لها مروّجون وسماسرة[١]. واتخذت دور اللهو من الدين والتقاليد موضوعاً للسخرية باسم الترفيه. وانجرف إليها الشباب والطلبة، وتهافت الناس على الفن الرقيع الذي يهزأ بالعناصر الشريفة على مشهد من الرجال والنساء والأطفال[٢]. وعاد آلاف

---

(١) محمد حسين: ص ١٩١/٢.

(٢) محمد حسين: ص ١٩٢/٢.

الفلاحين الذين كانوا في خدمة جيوش الحلفاء إلى قراهم، وقد فقدوا كثيراً من عادات الريف وأصالته، فاجترأوا على الآداب والتقاليد الدينية والاجتماعية.

وكانت الحياة الأوربية بخيرها وشرها تغزو مصر والعالم الإسلامي فأنشئت أول سينما في القاهرة ١٨٩٦م وفُتحت الخمّارات في كل مكان حتى وصلت الى الأرياف وأحياء العمال، وافتُتحت دور البغاء المرخصة في كل عواصم الأقاليم والمديريات، وتجرأ الناس على ارتكاب الموبقات والجهر بها باسم الحرية الشخصية التي فهموها على أنها التحلل من كل القيود الدينية والعُرفية. وتزلزل النظام الاجتماعي ففقد الآباء سلطانهم في الأسرة بعد أن فقد الماضي احترامه، كما فقد الكبار والشيوخ احترامهم، وشاعت موجة من الإسراف والتبذير والانغماس في الترف واتخاذ الأزياء وأساليب المعيشة الأوربية. وتجاوز هذا كله الى الخمر والمقامرة[١]. ولم يقتصر أثر الحضارة الغربية على بلد دون بلد، بل عمّ البلاد الإسلامية جميعها.

وأشاع الغربيون في مصر وكثير من بلدان الشرق المخدرات، بالإضافة الى إنتشار تجارة «الرقيق الأبيض» واليانصيب والبغاء، وهي تجارة الكسب فيها مضاعف لهم والخسارة فيها مضاعفة علينا. وكانت فرنسا وبريطانيا تصدران أنواع المخدرات كالمورفين والحشيش. وصاحب ذلك إنتشار الصور العارية في المجلات، وشاعت مسابقات الجمال، ومسابقات جمال السيقان، والأزياء وتعدى ذلك المجلات والمسارح ودور السينما من مجال الصور الى الجسم الأنثوي الحي، الذي دخل مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة، حيث كانت الفتاة تقف عارية تماماً

---

(١) محمد حسين: ص ٢/٣٤٩.

في أوضاع مختلفة أمام الشباب المراهق بحجة دراسة جسمها في كل وضع. وكانت تتلقى أجراً مادياً على ذلك، مقابل ما بذلته من حيائها، وما أستهلكته عيون الشباب من جسدها[1].

إنها جوانب المكيدة، تأتمر بالقيم الأخلاقية، وتستهدف تدمير كيان الشباب الذين يتكون منهم الجيل القادم.

وانصرف الناس عن الأمور الجليلة الى الأمور التافهة بالحديث عن أخبار نجوم الغناء والرقص والتمثيل، واحتلت أخبارهم وأخبارهن أبرز صفحات الجرائد والمجلات، حتى التافه من شئونهم. واحتلت أخبار المجتمع الراقي الفارغ التافه زوايا ثابتة في تلك الصحف والمجلات.

وأصبحت كثير من المجلات معرضاً لكثير من المذاهب التي استحدثها مرضى النفوس الغربيون، كمذهب «العُري» الذي أفاضت مجلة الهلال (يونيو ١٩٣١) في الحديث عن نشأته وتصوير مجتمع العراة «السعيد» في أوربا وما يحققه من مزايا مزعومة خلقية وصحية[2].

وتخلى الأدب عن وظيفته في خدمة المجتمع وتوجيهه، الى مسايرة أهواء المراهقين، ومداعبة غرائزهم وخيالاتهم، وتوفير الأجواء الحالمة التي تُسلمهم الى القعود عن كل همّة. وقطعت القصة في ذلك شوطاً بعيداً وسرت إليها لغة الأسواق التي لا يتميز فيها عالم من جاهل؛ فأصبحت وسيلة لعرض النماذج المنحرفة الشاذة المثيرة لأحط الغرائز، والمعبرة عن أمراض النفوس تنفيساً عن الشهوات باسم الواقعية تارة وباسم التحليل النفسي تارة أخرى، فأصبحت بذلك أخطر معاول

---

(١) محمد حسين: ص ٢/٣٥١.

(٢) محمد حسين: ص ٢/٣٥١.

الهدم، ونافست في ضررها وإفسادها المخدرات، وخاصة بعد انتشار صناعة السينما والإقبال الشديد عليها، فأصبحت القصة الماجنة يقرؤها ألوف ويشاهد تمثيلها ألوف؛ وهي تدور حول الصلات الشاذة المحرمة بين الرجل والمرأة. إن الأدب المكشوف ليس إلا موجة من الانحلال، سادت الأدب، ووجدت لها أنصاراً من الأساتذة الجامعيين، باسم حرية الفن، مع أن الأدباء ليسوا أحراراً أمام القانون والدولة والقراء. وقد تبنّى «طه حسين» هذه النزعة فقال: «ما أكثر النبوغ الذي يضيع ويذهب هدراً لأمة يكظم نفسه ويُكرهها على الإعراض عن الإنتاج خوفاً من الدولة أو القراء أو القانون أو النظام»[1].

في هذا الجو ظهر الدعاة المتفرنجون بدعوتهم التي صادفت رواجاً وخاصة لدى الشباب الذي استهواه البريق التافه والخادع للحضارة الغربية، فسارع الى تعلّم الرقص المختلط ومشاركة الأوربيين في مناسباتهم في الاحتفال بيوم الأحد وأعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية. وتهافت الأغنياء على ما تنتج المصانع الأوربية من وسائل الترف، حتى غدت أتفه الكماليات من ألزم الضروريات. وأصبح التمدن يعني استعمال الأدوات والملابس الأوربية؛ والتمييز فيها بين ما يصلح لكل مناسبة؛ مع إتقان فن معاملة النساء ومخاطبتهن والتودد إليهن. وظهرت بدعة الاصطياف في أوربا، وإرسال الأبناء الى المعاهد الأوربية مباهاة وتعبيراً عن المقدرة على الإنفاق.

وفي مقال لأحمد أمين، نشرته «السياسة» الأسبوعية ذهب الى أن العالم لا يحتمل إلا مدنيّة واحدة، وإن المدنيّات الشرقية قد أخذت في الإنحلال، وأن الحرب قد تكشفت عن فوز المدنّية الغربية، وأن العالم

---

(١) محمد حسين: ص ٣٥٨/٢.

الشرقي سائر الى المدنيّة الغربية لا محالة؛ لأنه لا يمكن أن تكون له مدنّية خاصة، تخالف في أسسها مدنيّة الغرب، إلا إذا أمكن أن يؤسس مدنيّة قوية تستطيع أن تسود المدنية الغربية، وتكون مدنيّة العالم، وذلك ليس في مكنته الآن ولا في المستقبل[1].

وكان مرض التقليد الفردي أو الجماعي لطريقة الحياة الغربية هو أكبر خطر يواجه الحياة الإسلامية. لأن تقليد المظاهر الخارجية يقود شيئاً فشيئاً الى تقبّل الميل العقلي المصاحب لذلك. ويرجع هذا التقليد الى بداية هذا القرن، وهو يتصل بقنوط المسلمين، الذين رأوا القوة المادية والتقدم العلمي والحضاري في الغرب، ثم وازنوا بين ذلك وبين الحالة المؤسفة في بيئتهم الخاصة. ومن هنا نشأت الفكرة القائلة بأن المسلمين لا يستطيعون أن يسايروا الرقي الذي نراه في أنحاء العالم ما لم يتقبلوا القواعد الاجتماعية والاقتصادية التي قبلها الغرب. لأن النظام الاجتماعي والاقتصادي في الإسلام - كما يزعمون - لا يتفق مع مقتضيات التقدم، ولذلك يجب أن يحوّر حسب الأسس الغربية. ومن المؤسف أنه قد انزلق في هذا المنزلق الخطر كثير من المتنورين المسلمين الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث في أسباب تخلف المسلمين.

قد يقول البعض إنه لا ضرر علينا من الناحية الروحية إذا عشنا أو لبسنا حسب التقاليد الغربية، ما دمنا لا نفعل ما يناقض التعاليم الدينية. ولكن فات هؤلاء أنه من غير الممكن تقليد مدنيّة ما في مظاهرها الخارجية من غير أن يتأثروا في الوقت نفسه بروحها. فالمدنيّة ليست شكلاً أجوف فقط، ولكنها نشاط حي، ففي اللحظة التي نبدأ

---

(١) محمد حسين: ص ٢٠٢/٢.

فيها بتقبّل شكلها تبدأ مؤثراتها الفعالة تعمل فينا، حتى تخلع على اتجاهنا العقلي شكلاً معيناً. وقد أدرك الرسول ﷺ ذلك حينما قال: «من تشبه بقوم فهو منهم». وهو تعبيرا إيجابي يدل على أنه لا مفر من أن يصطبغ المسلمون بالمدنّية التي يقلدونها.

فاللباس لأي شعب تشكل وتبدّلت أشكاله حسب التبدّل الذي طرأ على خصائص ذلك الشعب وميوله. واللباس الغربي يتفق مع الخصائص العقلية الأوربية. وبارتداء اللباس الغربي يوفق المسلم من غير شعور ظاهر بين ذوقه والذوق الأوربي. وهو بذلك يشوه حياته العقلية بشكل يتفق مع اللباس الجديد. وهو بذلك أيضاً يكون قد تخلى عن ذوق قومه. إن هذا التقليد لا يعني إلا الإعجاب بروح الحضارة الغربية مهما كانت الدعوى التي يمكن أن تقال في ذلك. وهو نابع من الشعور بالنقص.

يجب أن يعيش المسلم مرفوع الرأس. متميزاً في عاداته ومسلكه ولباسه وأسلوب حياته وعقيدته عن سائر الناس. ويجب أن يفخر لأنه كذلك. ويجب أن يعلن هذا الفارق بشجاعة لا أن يعتذر عنه.

ويمكن أن نتقبل المؤثرات الإيجابية لحضارة ما، من غير أن نهدم حضارتنا. فالحضارة الأوربية تقبلت المؤثرات العربية الإسلامية في العلم وأساليبه عن طيب خاطر، فترقّت ونهضت. ولكنها لم تتقبل روح حضارة العرب والمسلمين ولا مظاهرها الخارجية. ومثل ذلك فعل العرب المسلمون حين استغلوا معارف اليونان وعلومهم فشادوا نهضتهم الرائعة، ولكن دون أن يتأثروابروح الحضارة اليونانية. لقد فعلوا ذلك وهم ممتلئون ثقة بأنفسهم وإعجاباً بحضارتهم، فما من مدنيّة تستطيع أن تزدهر أو تظل حية إذا خسرت إعجابها بنفسها، وصلتها بماضيها. إن المسلمين بميلهم المتزايد الى محاكاة أوربا وإلى اقتباس آرائها ومثلها العليا يقطعون تلك الصلات التي تربطهم بماضيهم وهم بذلك يفقدون

شخصيتهم الثقافية وشخصيتهم الروحية أيضاً، ويقطعون جذورهم بأيديهم.

ويتصل بهذه الحركة أيضاً الدعوة الى تحرير المرأة بدعوى أن الحجاب قد حال بينها وبين أن تكون عضواً نافعاً في الحياة والمجتمع كالمرأة الأوربية. وقد حمل لواء هذه الدعوة «قاسم أمين» وبسط آراءه في كتابين وضعهما هما «تحرير المرأة» ١٨٩٩ م والمرأة الجديدة ١٩٠٠ م. وفي الكتاب الأول زعم أن حجاب المرأة ليس من الإسلام، وأن الدعوة الى السفور ليس فيها خروج عن الدين. وهو يرى أن الشريعة الإسلامية كليات وحدود عامة. وقد تناول في كتابه مسائل أربع: الحجاب، وعمل المرأة، وتعدد الزوجات، والطلاق. ويذهب في كل مسألة من هذه المسائل الى ما يطابق مذهب الغربيين، فالحجاب عنده عادة استحسنها المسلمون وأخذوا بها وألبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة - كما يزعم - التي تمكنت في الناس باسم الدين. وقد حاول التوفيق بين الإسلام ومذاهب الغربيين في هذه المسائل. وتعليم المرأة عنده لا يكفي لتربية أولادها فلا بد من المشاهدة والتجربة برفع الحجاب والاختلاط. وهو في كتابه يحاول تطويع الآيات القرآنية والوقائع التاريخية وتأويلها بما يخدم فكرته[١].

وفي كتابه الثاني ناقش معارضيه وناقديه بأسلوب أوربي حديث يقوم على البيانات الإحصائية. وفيه هاجم رجال الدين الذين هاجموه عند إصدار كتابه الأول. وجرّه ذلك الى القسوة على الحضارة الإسلامية أحياناً. وهو يدعو صراحة الى تربية الأولاد على أسس الحضارة الغربية ويعلل إعجابنا بالحضارة الإسلامية الماضية بأنه ضعف وعجز[٢]

---

(١) محمد حسين: ص ٢/ ٢٩٤.

(٢) محمد حسين: ص ٢/ ٣١٠.

ووجدت دعوته أنصاراً كثيرين فقد أيدها «سلامة موسى» الذي دعا الى الاختلاط وقال: ان سبب العجز الجنسي والشذوذ الجنسي في الشرق هو فصل الرجال عن النساء ودعا الى أن تكون لكل فتاة حرفة تمارسها مع الرجال[1].

وكتب «ابراهيم المصري» في مقال بمجلة الهلال ١٩٣٨ «بعد السفور» داعياً الى الاختلاط بقوله: «نحن قد سلمنا بمبدأ تعليم نسائنا، ولكننا لم نسلّم بقدرتهن على الانتظام في حفل كبير يضم عدداً مختاراً من أفراد الجنسين، ويتألف من مجتمع مصري مختلط أشبه بالمجتمعات الأوربية التي نشهدها في مصر ونحسد الأجانب عليها. وهو يردّ ذلك الى أن ثقة الرجل المصري بالرجل المصري لا تزال معدومة ويقول: إنك ترى امرأة صديقك السافرة في الشارع أو في محل تجاري أو في المسرح أو في السينما، إنك تراها في الحياة العامة وتُعجب بها ولكنك متى أردت تهذيب عواطفك وصقل إحساساتك ومشاعرك بالجلوس إليها والتحدث معها وإشراكها في المسائل التي تشغل عقلك وعقل مواطنيك حيل بينك وبينها، واتّهمت بفساد النية وسوء القصد. إن المجتمع المختلط هو الذي يقرب مسافة التخلف بين الجنسين، ويقيم علاقات الرجل والمرأة على قاعدة التفاهم الفكري العاطفي. وهو يدعو المصريين إلى أن يطردوا من عقولهم الاعتقاد الشرقي الشائع بأن الرجل والمرأة متى التقيا فلا بد أن ينهض الشيطان بينهما وينفث في نفسيهما سموم الرذيلة والشر[2].

---

(١) كشك: ص ١٣٧.

(٢) محمد حسين: ص ٢٦١/٢ ٥٠٩١١٦

إن آراء هذا المأفون وأمثاله، ممن يودون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، هي أتفه وأقل شأناً من تكلف الرد عليها وتفنيدها.

وقد دعا المبشرون الى الاختلاط لإفساد المرأة وتدمير الأخلاق فقد قالت المبشرة: «آن مليغان» لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات. ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وبالتالي فليس هناك من طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة[1]. لأنهم يدركون أن إخراجها من الإسلام يُخرج معها زوجها وأخاها والجيل الذي تربيه. وتكون أداة هدم على المجتمع الإسلامي الذي يريدون تدميره.

أما مساوىء الاختلاط فقد عبّرت عنها كاتبة امريكية مختصة في شئون الأحداث دون العشرين، في مقال لها في جريدة «الجمهورية» القاهرية في ١٨ شوال ١٣٨٤ هـ، قالت فيه: امنعوا الاختلاط فقد عانينا منه في أمريكا الكثير. فأصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً، مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة وإن ضحايا الاختلاط والحرية يملأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية. إن الحرية التي أعطيناها لأبنائنا وبناتنا قد جعلت منهم عصابات أحداث، وعصابات جيمس بوند وعصابات المخدرات والرقيق الأبيض، ولذلك: فإن القيود التي يفرضها المجتمع الإسلامي على الفتاة صالحة ونافعة فتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة وعودوا الى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا[2].

---

(١) جلال العالم: ص ٨٣.

(٢) الصواف المخططات العالمية لمكافحة الاسلام: ص ٢٢٨.

هذه صيحة مجرّبة اكتوت بنار التجربة، تطلقها عالية لمن كان له قلب حاضر، وعقل مدرك.

ويروّج الإعلام الغربي لفكرة الركض وراء السعادة المادية مالية كانت أم جنسية أم ترفيهية بعد أن تحلل من قيمه الدينية عقب الثورة الفرنسية التي كان شعارها: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس[1].

ومن الإعلام الغربي المنحرف: الأغنية الماجنة والأفلام الخليعة وأفلام الرعب والاجرام والمجلات المبتذلة والقصص الرخيص وكتب التاريخ المحرّف والأفلام الدعائية ضد الإسلام وكتب الإلحاد.

وتدور المسلسلات الأجنبية حول الحكايات الخيالية وعالم الفضاء والعنف والرعب والجريمة. وقد رفضها المجتمع الأمركي. وتقدمت آلاف الأمهات في أمريكا يطلبن من الكونغرس أن يعمل على وقف إنتاجها وعرضها على الجيل الجديد؛ فاستجاب لجانب من الطلب فسمح بالاستمرار في إنتاجها وشجع على تصديرها الى الجيل العربي المسلم[2].

وكان لهذا النوع من الإعلام تأثير كبير على الشباب الذين أصبحوا يعرفون عن نجوم الفن أكثر مما يعرفون عن أبطال التاريخ وعظماء الإسلام، وشاع تقليدهم لهم في أفكارهم وسلوكهم وأسلوب مناقشتهم وآرائهم.

إن المبادىء والحضارة الإسلامية لا تبقى إلا إذا كان هناك نشء يتمسك بها، ويحمل لواءها ويدعو إليها. ولتحقيق هذه الغاية يجب أن يكون الشباب المسلم على وعي تام بالمبادىء والمناهج والخصائص

---

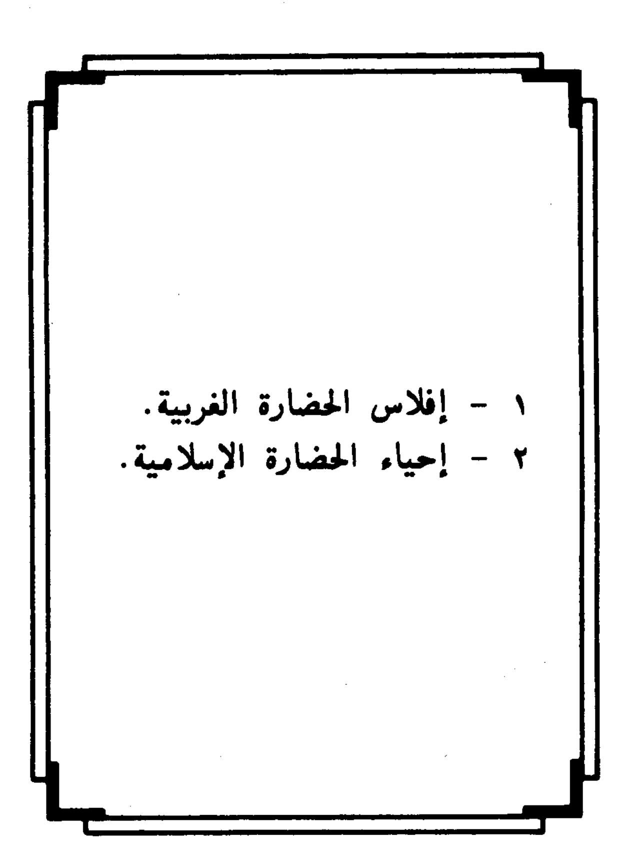
(١) منى يكن: ص ٢٣.

(٢) منى يكن: ص ٣٩.

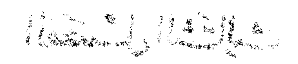
الإسلامية التي تضمن البقاء، وذلك باستغلال ما لديهم من خبرات ومستويات علمية، وذلك بمقاومة كل دعوة إلحادية تشكك في الدين، أو تنال من كرامة الإسلام والمسلمين.

وإن هناك صلة وثيقة بين العقيدة والأخلاق، فوجود أحدهما يستلزم وجود الآخر. والمحافظة على الأخلاق الإسلامية دعامة قوية لحضارتنا. وتغلغل آثار الحضارة الغربية في مجتمعنا من شأنه أن يضعف الإيمان بالعقيدة ويغري بالتمرد على الأخلاق والقيم ونظام الحياة الإسلامية.

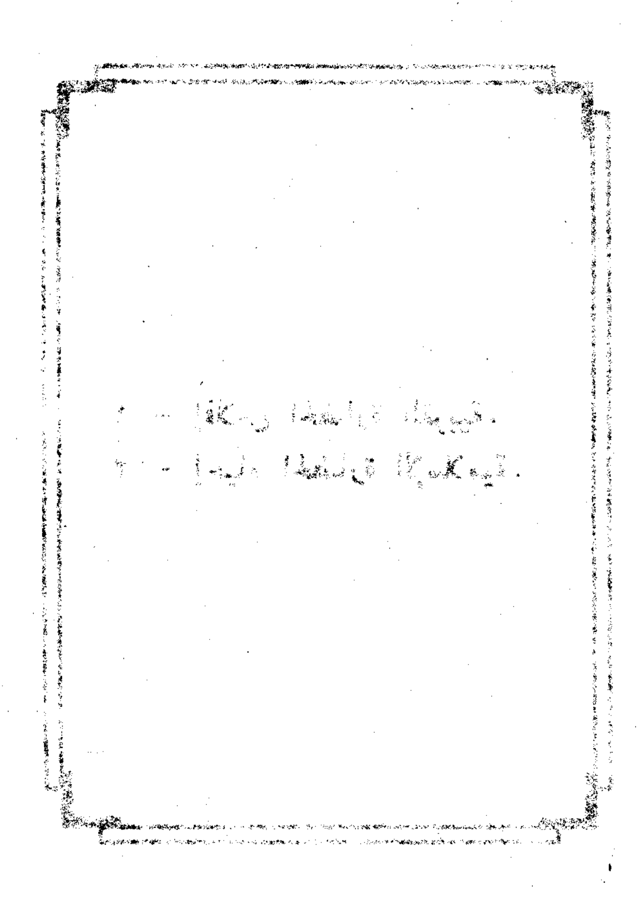
الفصل الثالث



١ - إفلاس الحضارة الغربية.
٢ - إحياء الحضارة الإسلامية.



ملحقات الكتاب



[illegible] - ١

[illegible] - ٢

إفلاس الحضارة الغربية:

إن الحضارة المعاصرة تعلن إفلاسها، بإهدارها للقيم والخصائص الإنسانية، والمقومات الفردية، بسبب رفضها أن يكون للدين - وهو منهج الحياة من عند الله هذه الاختصاصات وهذا السلطان.، وذلك باتخاذ مناهج للحياة غير منهجه. وهذا في حد ذاته رفض لألوهية الله. وهذا الرفض سابق على قيام الحضارة. وبسببه، وبارتداد أوربا إلى المدنية الرومانية قامت الحضارة الغربية على أسس لادينية. ومن هذه الثغرة جاءتها كل الآفات. ولذلك فإنها تشهد أعداداً من «اللامنتمين» تمردوا على نظمها وقوانينها لأنها حققت كل شيء دون أن تلتفت الى الإنسان. أهملت وحدته، وتجاهلت روحه وعواطفه ووجدانه. ولم تكن في يوم من الأيام منسجمة مع فطرته. ولذلك تتعالى الصيحات من هنا وهناك منذرة بسوء مصير البشرية في ظل هذه الحضارة المادية الخاوية من الروح والإيمان، التي تنحدر إلى الهاوية.

فمن بريطانيا يعلن الفيلسوف برتراند راسل نهاية سيادة الرجل الأبيض لأنه انتهى من الداخل، وفرغ من العقيدة ومن الروح ومن الأخلاق على الرغم من تقدمه العلمي وإنتاجه المادي[١].

ومن ألمانيا، أعلن «أسوالد شبنغلر» أن الجنس البشري مقبل على الفناء في وقت قريب، وأن تدهور الحضارة الغربية سيجرّ معه حتماً تدهور الحضارة الإنسانية ما لم يشهد العالم ولادة حضارة جديدة[٢].

---

(١) المستقبل لهذا الدين: ص ٥٦.

(٢) شبنغلر: ص ١٧.

ومن فرنسا، كتب الدكتور «ألكسيس كاريل» كتابه «الإنسان ذلك المجهول» ضمّنه شهادة ضد المدنية المادية القائمة لقتلها أهم خصائص الإنسان، وأطلق فيه صيحة مدوية بالأخطار التي تهدد الجنس البشري من جراء الاعتداء على القوانين الطبيعية التي لا تدع المعتدين عليها بلا عقوبة. وأعلن جهل العلم بحقيقة الإنسان، بل بأبسط حقائق تكوينه الجسدي ذاته. فهو يقول: «إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب، لأنها لا تلائمنا. فقد أنشئت دون معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم. وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا»[1].

ويتابع ألكسيس كاريل قوله: «يجب أن يكون الإنسان مقياساً لكل شيء، ولكن الواقع هو عكس ذلك، فهو غريب في العالم الذي ابتدعه. إنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته. ومن ثم فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية، فالبيئة التي ولدتها عقولنا، واختراعاتنا غير صالحة، لا بالنسبة لقوامنا، ولا بالنسبة لهيئتنا. إننا قوم تعساء ننحط أخلاقياً وعقلياً. إن الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة في الضعف، والتي ستكون عودتها الى البربرية، والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها، ولكنها لا تدرك ذلك، إذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التي شيدها العلم حولها. وحقيقة الأمر أنّ مدنيّتنا مثل المدنيّات التي سبقتها، أوجدت أحوالاً معينة للحياة من شأنها أن

---

(١) المستقبل لهذا الدين: ص ٦٠.

تجعل الحياة نفسها مستحيلة، وذلك لأسباب لا تزال غامضة. إن القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية»[1].

وهو يقول: «ولسوف يدرك الاقتصاديون أن بني الإنسان يفكرون ويشعرون ويتألمون، ومن ثم يجب أن تُقدم لهم أشياء أخرى غير العمل والطعام والفراغ؛ وأن لهم احتياجات روحية مثل الاحتياجات الفسيولوجية، كما سيدركون أيضاً أن أسباب الأزمات الاقتصادية والمالية قد تكون أسباباً أدبية وعقلية»[2].

وكما أحس دكتور كاريل بالخطر على مقومات الإنسان من الحضارة الصناعية المادية، كذلك أحس «مستر دالاس» وزير خارجية أمريكا بالخطر على الولايات المتحدة وعلى العالم الغربي. ووجه في كتابه «حرب أم سلام» صيحة الذعر من هذا الخطر. وفي فصل بعنوان «حاجاتنا الروحية» يقول: إن هناك شيئاً ما يسير بشكل خاطىء في أمتنا، وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج وفي هذه الحالة النفسية. لا يجدر بنا أن نأخذ موقفاً دفاعياً، وأن يتملكنا الذعر. إن ذلك أمر جديد في تاريخنا. إن الأمر لا يتعلق بالماديات، فلدينا أعظم إنتاج عالمي في الأشياء المادية، إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوي. وبدونه يكون كل ما لدينا قليلاً. وهذا النقص لا يعوضه السياسيون مهما بلغت قدرتهم أو الديبلوماسيون مهما كانت فطنتهم أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم، أو القنابل مهما بلغت قوتها. فمتى شعر الناس بالحاجة الى الاعتماد على الاشياء المادية فإن النتائج السيئة تصبح أمراً حتمياً. وفي بلادنا لا تجتذب نظمنا

---

(١) المستقبل لهذا الدين: ص ٦١.
(٢) المستقبل لهذا الدين: ص ٦٣.

الإخلاص الروحي اللازم للدفاع عنها. وهناك حيرة في عقول الناس وتآكل لأرواحهم وذلك يجعل أمتنا معرضة للتغلغل المعادي... والأمن والسلام ليسا سلعتين يمكن شراؤهما. لقد حاول الأباطرة الرومان أيام انحدارهم أن يشتروا السلام، وكانت النتيجة فتح شهية أولئك الذين كانوا يسعون الى تدميرهم... إن الصعوبة ناشئة من أننا نقف موقفاً غامضاً من إيماننا، ومن العلاقة التي بين هذا الإيمان ونشاطنا.. لقد أخفقنا بشكل يدعو الى الرثاء في أن نرى أن من الممكن الحصول على عدالة اجتماعية دون أن نمارس الإلحاد والمادية. إن ذلك يعتمد على الرغبة الاختيارية للفرد في قبول أو التخلي عن الالتزامات الاجتماعية تجاه الفرد الآخر...وبنتيجة ذلك فإن كثيراً من قومنا قد فقدوا إيمانهم في مجتمع حر وكأمة: فقدنا كذلك إيماننا الديني وممارسة شعائرنا الدينية، رغم أننا ما زلنا متدينين. إننا نفرق بين الدين وممارسة الدين، ولم نعد نؤمن بأن الإيمان يتمشى مع الظروف الحديثة ومتى تحطمت الصلة بين الإيمان والعمل فلن نستطيع بعد ذلك أن ننمي قوى روحية نستطيع نشرها في جميع أنحاء العالم»[١].

ويعد «كولن ولسون» من أبرز شهود القرن العشرين على ما تعانيه الحضارة الغربية العلمانية من تأزم وعدم توازن. ففي كتابه «سقوط الحضارة» يقول: «أنظر الى حضارتنا نظرتي الى شيء رخيص تافه، لأنها تمثل انحطاط جميع المقاييس العقلية. وتبدو ظاهرة «اللامنتمي» الرد الذي لا بد منه لألوان الاضطراب والقلق والتوتر التي تولدها جميعاً الحضارة العلمانية المعاصرة في كيان الإنسان. إنها أمراض هذا العصر لانعدام الجانب الروحي في حضارتنا الغنية مادياً[٢].

---

(١) المستقبل لهذا الدين: ص ٦٥ - ٧١.

(٢) تهافت العلمانية: ص ١٢٨ - ١٣٠.

ويتابع كولن ولسون حديثه عن اللامنتمي فيقول: إن رؤية اللامنتمي للعالم هي رؤية العذاب والمرارة والشقاء والموت المفاجىء وانعدام الشعور بالأمن دائماً، وعدم القدرة على التعبير عن النفس، لأن الحضارة الغربية لم يعد يهمها أي شيء عن المصير، فهي لا ترضي من الإنسان إلا نصفه المادي العلمي التجريبي فحسب، أما نصفه الآخر الروحي فإنها تقف منه موقف الإهمال أو الرفض وهذا هو الخطر الأكبر الذي تمارسه بحق الإنسان، وهو الذي دفع بالكثيرين من أبنائها الى العصيان والتمرد على القوانين والنظم «اللا إنتماء». إن المادية تقود إلى الإلحاد، والإلحاد تصوّر قاصر لطبيعة الإنسان ودوره في الكون، وهو رفض أو إهمال كل القيم والمكونات الإنسانية غير العلمية، وحبس للشعور الإنساني في حدود معطياته العقلية أو المادية الصرفة؛ ويتولد عن ذلك الكبت الروحي والوجداني، فيسعى «اللامنتمي» الى التحرر من هذا الكبت. إن كل حضارة لا بد أن تصل الى لحظة أزمتها يوماً ما، وإن الحضارة الغربية قد بلغت هذه اللحظة الآن. واعتقد أن هذه اللحظة تهدد بالدمار. إن الدين قد تيبّس في كنيسة لم يعد يقبل بها «اللامنتمون» بعد أن سلبهم التقدم العلمي الدافع الروحي[1].

ويتحدث «كولن ولسون» في كتابه «سقوط الحضارة» بأن غرضه منه أن يقول شيئاً عن حاجة هذا العصر الى دين جديد، بعد أن فقدت الكنيسة كل صلة بالمشاكل التي تواجه الناس في أمور الدين، ومن ثم لم تعد تمثل الواقع الروحي بعد أن فقدت قوتها وفاعليتها في التغلب على المشاكل العميقة التي تواجه الإنسان في حياته الدنيا بما يكفل له الخلاص والأمن والانسجام.. والذي يدعو إليه.. «كولن ولسون» أن

---

(١) تهافت العلمانية: ص ١٣١ - ١٤٤.

يفهم الآن هذا العالم - ليس الكون المحيط به فقط إنما الكون الآخر خلف عينيه - وكل ما يحتاجه الإنسان أن يؤمن بشيء يمنحه هدفاً دائماً متجدداً. وهو يقول: لقد كان الإسكندر الكبير يؤمن بشيء منحه قوة هائلة هادفة إذ كان يؤمن بأنه سيحكم العالم كله. ولما حكم العالم جلس يتساءل يائساً: ماذا سأفعل الآن؟! هذا هو محك كل إيمان، فإذا انتهى مفهوم الهدف عند حد معين فإنه ليس هدفاً حقيقياً إذن، وليس هدفاً نهائياً. ولكن الدين يمنح الإنسان هذا الهدف النهائي، الهدف الذي لا ينتهي حتى ولو عاش مليوناً من السنين. والإنسان ليس كاملاً بدون دين[1].

ويذهب «آرنولد توينبي» كبير مؤرخي العالم المعاصرين، مذهب «كولن ولسون» في أن الحضارة الغربية لا يمكن إنقاذها إلا بالدين، لأنها مصابة بالخواء الروحي، الذي حول الإنسان الغربي إلى قزم مشوه، يفتقد عناصر وجوده الإنسانية، ويعيش الحد الأدنى من حياته، المتمثل في وجوده المادي فحسب، مما يصيبه بالأمراض والسأم وفقدان الهدف من كل ما يأتي به في مجتمع تحول إلى قطيع يركض بلا غاية، دون تفحص لمعنى مسيرته الهوجاء.

والدين الذي يريده توينبي هو الدين الذي يستطيع أن يتصرف تصرفاً يضمن سلامته بالقوة المادية التي ألقتها بين يديه ميكانيكية الصناعة الغربية.

ويرى «توينبي» أنه إذا ما سقطت الحضارة الغربية فإنه يصعب علينا التكهن بمصدر الحضارة الجديدة، لأن العالم كله «تغرب» الآن. حتى العالم الإسلامي، الذي يمكن أن يكون مصدراً للحضارة الجديدة كما

---

(١) تهافت العلمانية: ص ١٤٥ - ١٤٨.

قام [illegible] عندما سقطت الحضارة الكلاسيكية (القديمة) في العصور السابقة فإن توينبي يرى أنه هو الآخر قد «تمغرب» وأنه يمر بنفس التجربة الحضارية التي يمر بها الغرب، لأنه تخلى عن نظامه الوحيد الذي يمكنه أن ينقذه من مشاكله ومآسيه، وراح يركض وراء تجارب الغرب الحضارية، يتبناها ويعيشها. ومن ثم فهو مصاب بنفس الأمراض التي أصيب بها الغرب. وهكذا - كما يقول توينبي - فالعالم متمغرب الآن كله شرقه وغربه، وهو شقي الآن كله شرقه وغربه، وهو متمزق الآن كله شرقه وغربه، وهو مريض الآن كله شرقه وغربه. ومن ثم فأمل توينبي في إيجاد مصدر جديد للحضارة - والشرق الإسلامي على ما هو عليه - صعب ويدعو الى التشاؤم[1].

وفي رواية للكاتب الروماني «كونستانتان جيوروجبو» (الساعة الخامسة والعشرون) يقول: لقد أخذنا في الدوامة. ولسوف تمزق هذه الدوامة جلودنا، وتحطم عظامنا الواحد تلو الآخر. إنني أشعر بهذا الحدث الهائل، شعوراً لا يضاهيه إلا إحساس الجرذان المسبق الذي يدعوها الى هجر مركب على وشك الغرق. لن يكون لنا مأوى في أي مكان من العالم»[2].

أما الساعة الخامسة والعشرون (كما هو اسم الرواية) فهي اللحظة التي تكون فيها كل محاولة للإنقاذ عديمة الجدوى. إنها الساعة الأخيرة بل هي الساعة بعد الساعة الأخيرة، ساعة المجتمع الغربي، إنها الساعة الحاضرة.

ويصف جيورجيو أحداث هذه الساعة بقوله: إن الجوَّ باتَ لا يصلح للتنفس، إن الجوَّ بَاتَ خانقاً. الجو الذي يعيش فيه المجتمع الحاضر، إن

---

(١) تهافت العلمانية: ص ١٦٢ - ١٧١.
(٢) تهافت العلمانية: ص ١٧٥.

الكائن البشري لا يستطيع احتماله. إن البيرقراطية والجيش والحكومة والتنظيم الحكومي والإدارة كل هذه الأشياء تساهم في تسميم الجو، ليختنق الإنسان. إن المجتمع الحاضر يستخدم الآلات والرقيق العنصري. لقد خُلق من أجلها. ولكن الإنسان محكوم عليه بالإختناق. غير أن بني الإنسان لا يشعرون بذلك. إنهم يصرّون على أن كل شيء طبيعي كما كان في السابق[١].

ويتحدث جيوروجيو عن الحضارة المعاصرة فيصفها بأنها الحضارة التي ولغ فيها الإنسان في الدماء، حتى غدا شيطاناً مريداً، له وجه إنسان ولكنه ليس إنساناً، إنه آلة، إنه الشيطان، إنه يشبه الإنسان بكليته باستثناء الروح. لقد ولغ الآخرون جميعاً في الدم، وهم الآن كالعفاريت. إنهم ليسوا بشراً. لم يبق بين هؤلاء رجل واحد يمكن أن يكون إنساناً. إنها حضارة السجن الذي يقف فيه الإنسان على حدود الحياة والموت، تحيطه جدران صماء لا نهاية لها، وتغيب عنه معالم السماء والأفق البعيد، وحيث يضيع الإنسان، فلا يعرف له موضع قدم، ولا يعرف له مصيراً، ويلتبس عليه الفهم، وتختفي معالم الأشياء، لأن صلته بالسماء قد انقطعت، وتلقيه عن الله قد أوقف، وسُدّت عليه كل منافذ الرؤية إلى فوق، اسمعوا شكواه، وأنصتوا إلى عذابه وهو في الغربة[٢].

إن الحضارة المعاصرة يصنعها ويقودها اليوم معسكران: المعسكر الرأسمالي المتمثل بأوربا الغربية وأمريكا، والمعسكر الشيوعي المتمثل بأوربا الشرقية وروسيا. وكلا المعسكرين يلتقيان في المدى الحقيقي بما يصدران عنه من فلسفة واحدة: فلسفة الآلية والمادية والجماعية والقياس

---

(١) تهافت العلمانية: ص ١٧٨.
(٢) تهافت العلمانية: ص ١٩٤.

والتجريد ونكران الله وقتل القيم الروحية والدينية، وكل ما هنالك من خلاف ظاهر بين المعسكرين لا يعدو في حقيقته أن يكون خلافاً في النظام الخارجي للبناء الاقتصادي وفي السياسة الخارجية. وزاوية هذه الخلافات الظاهرة في طريقها إلى التقارب والانطباق. ويبقى بعد هذا خلاف المصالح فحسب. وهو خلاف يحكم الكتلة الواحدة نفسها، كذلك الذي نجده بين فرنسا وبريطانيا وبين بريطانيا وأمريكا. أما في نطاق الحضارة، في نطاق المفهوم الفلسفي الذي ينبثق عنه الوجود الحضاري للمعسكرين فإن الأمر سيان. بل إن المعسكر الشرقي قد فاق في أحيان كثيرة المعسكر الغربي في التزام أسس هذه الحضارة ومبادئها الرئيسية، وأضاف عليها مزيداً من العنف والقسوة الجماعية.

إحياء الحضارة الإسلامية:

إن إفلاس الحضارة الغربية يجعل التغيير الإسلامي ضرورة بشرية ملحة لإنقاذ البشرية من البؤس والضياع، بعد أن انهارت جميع الكيانات العقائدية المناوئة للإسلام. ويجب إعداد الشباب المسلم لمواجهة التحدي وإحداث التغيير الإسلامي المنشود.

يقول الأستاذ محمد أسد: «في هذا العالم المملوء بالآراء الجديدة المتصادمة والتيارات الثقافية المتعارضة، لا يستطيع الإسلام أن يظل شكلاً أجوف. لقد انقضى نومه السحري الذي دام أجيالاً، فيجب أن ينهض أو يموت. إن المشكلة التي تواجه المسلمين اليوم هي مشكلة مسافر وصل إلى مفترق الطرق. إنه يستطيع أن يظل واقفاً مكانه ولكن هذا يعني أنه سيموت جوعاً، وهو يستطيع أن يختار الطريق التي تؤدي إلى الحضارة الغربية ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه إلى الأبد، وانه يستطيع أن يختار الطريق إلى حقيقة الإسلام، إن هذه الطريق وحدها هي التي تستميل أولئك الذين يؤمنون بماضيهم وباستطاعتهم التطور نحو

مستقبل حي[١] ».

لقد انهزم التتار والصليبيون بالإسلام، وانتصر المماليك وصلاح الدين بالإسلام، وأصبح الأعراب الرعاة الحفاة الجفاة أمة متحضرة قوية بالإسلام. فالإسلام صانع المعجزات انتصر الإسلام وهو أعزل، لأن عنصر القوة كامن في طبيعته، وفي بساطته ووضوحه وشموله، وملاءمته للفطرة البشرية وتلبيته لحاجاتها.

ويرى «آرنولد توينبي» أن مستقبل الحضارة الإسلامية يتوقف على الأكثرية المؤمنة بتراثها، والتي زادها الصراع مع الغرب حيوية ونشاطاً. والمؤمل أن هؤلاء الأكثرية سوف يوجهون الطاقة العربية الإسلامية إلى الخلق والإبداع والنمو، وبالتالي إلى تجديد شباب الحضارة العربية الإسلامية والعمل على إحلالها المحل اللائق في الحضارة العالمية[٢].

يخبرنا التاريخ أن جميع الثقافات الإنسانية وجميع الحضارات أجسام عضوية تشبه الكائنات الحية، إنها تولد ثم تشب وتنضج، ثم يدركها البلى في آخر الأمر، فهي كالنبات الذي يذوي ويموت ثم يستحيل تراباً؛ تموت في آخر أيامها لتفسح المجال لثقافات أخرى، وحضارات وُلدت حديثاً. ينطبق هذا على كل الثقافات والحضارات إلا الإسلام، لأنه ليس مدنيّة بين المدنيات الأخرى، وليس نتاجاً لآراء البشر وجهودهم، بل هو شرع سنّه الله لتعمل به الشعوب في كل زمان ومكان، فهو حي متجدد على الدوام، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إن أحياء حضارتنا وثقافتنا الإسلامية أمر ممكن دون أن نحتاج فرض إصلاح على الإسلام، فهو كامل بنفسه من قبل. والذي نحتاج إليه

---

(١) محمد أسد: ص ٨٦.
(٢) نحن وحضارة الغرب: ص ٣٧.

فعلاً هو إصلاح موقفنا منه بمعالجة عيوبنا ومساوئنا نحن، لا العيوب والمساوىء المزعومة فيه. ونحن لا نحتاج في ذلك إلى مبادىء نأتي بها من الخارج، وإنما نحتاج إلى الرجوع إلى مبادئه المهجورة القديمة فنطبقها.

إن الإسلام ليس عقيدة صوفية، ولا هو فلسفة، ولكنه نهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التي سنّها الله لخلقه؛ وما عمله الأسمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية وهذا هو الأساس الطبيعي للحياة. فالعبادات حركات جسدية ومبانٍ روحية معاً. وعملنا في الحياة عبادات حينما نأتيها بوعي، وعلى أنها تؤلف جزءاً من ذلك المنهاج العالمي الذي أبدعه الله. وبلوغ هذا الهدف مستحيل ما دمنا نقسم حياتنا قسمين: حياة روحية وأخرى مادية، كما هو في الديانات الأخرى.

والإسلام دون سائر الأديان يتيح للإنسان أن يتمتع بحياته الدنيا إلى أقصى حد، من غير أن يضيع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة. أما في المسيحية فالإنسان ابن الخطيئة (خطيئة آدم وحواء في الجنة) وهو يتعثر في خطيئته الموروثة في حياة هي وادٍ مظلم للأحزان، تعترك فيه قوتان: الشر المتمثل في الشيطان، والخير المتمثل في المسيح. فالنفس ملك المسيح والجسد ملعب للمؤثرات الشيطانية. من أجل ذلك كان على الإنسان المسيحي إذا أراد النجاة أن يعرض عن عالم «اللحم» إلى العالم الروحي المقبل، حيث تُحل الخطيئة البشرية بفداء المسيح. أما في الإسلام فليس هناك خطيئة موروثة، ومن ثم فلا غفران شامل للإنسانية. فكل مسلم رهين بما كسب، فهو يحمل في نفسه وجوه الإمكان للنجاة الروحية أو الخيبة الروحية.

والإسلام لا يشرك النصرانية في ما تنص عليه من الناحية المظلمة للحياة. وهو مع ذلك يدعو إلى عدم تعليق أهمية مغالى فيها على الحياة

كما تنادي الحضارة الغربية، التي تعبد الحياة ولكن لا تحترمها. أما الإسلام فلا يعبد الحياة، ولكنه لا يحتقرها، بل يعتبرها ممراً إلى وجود أسمى. لذلك كان لحياة المسلم قيمة عظمى، هي قيمة الواسطة إلى الغاية السامية. وليس للإسلام مجال للتفاؤل المادي في الحياة كما عند الغرب، ولا احتقار للحياة كما عند النصرانية. فالإسلام سبيل وسط.

والإسلام كما يقول محمد أسد «استعماري» إذا لم يكن بد من استعمال هذا التعبير، ولكنه استعمار خال من حب السيطرة، وليس فيه من الأنانية الاقتصادية أو القومية أو الطمع في زيادة رفاهية المسلمين على حساب شعب آخر. ولم يقصد منه إكراه غير المسلمين على الدخول في الإسلام، وإنما قُصد به بناء إطار عالمي لأحسن ما يمكن من التطور الروحي للإنسان. إن المعرفة بالفضائل للإسلام تفرض على المسلم تبعة العمل بالفضائل. أما الفصل الأفلاطوني (النظري) بين الخير والشر من غير حث على زيادة الخير ومحو الشر فهو فسق في ذاته. إن الأخلاق في الإسلام تحيا وتموت مع المسعاة الإنسانية للعمل على نصرتها على الأرض[1]. إن الاعتبار الديني يسيطر في كل شيء في الإسلام، وليس اعتبار المنفعة المادية كما هو في الغرب.

إن الأوصاف التي يتمناها الغربيون في الدين المنشود تنطبق على الإسلام. ومع ذلك فإن الغربيين ما يزالون يضربون في التيه، وهم يطرحون بين الحين والحين حلولاً دينية مضطربة كفكرة توحيد الأديان وصهرها في بوتقة واحدة والخروج بديانة عالمية.

إن جدراناً هائلة تقف في وجه الإنسان الغربي تصده عن الوصول إلى الدين القيّم الذي يبحث عنه، وهي جدران أقامها التاريخ بكل ما

---

(١) محمد أسد: ص ٣١.

شهده من قتال بين الشرق والغرب. وهناك الصراع الديني بكل ما خلفته الحروب الصليبية في نفوس الغربيين من حقد ورغبة في الانتقام، وعداء عميق للإسلام؛ تغلغل في خفايا شعورهم واستقر في أعماقها. وهناك المطامع الاقتصادية بكل ما في صفحاتها الكئيبة المحزنة من استعمار ورغبة عاتية في التدمير والإبادة من أجل الأنانية والاستئثار والاستحواذ. ثم هناك التقليد الفكري والثقافي وهو أشد الفواصل بين الإسلام والغرب خطورة، ويشمل ذلك كل الرواسب الفكرية التي ورثها الغربيون عن اليونان والرومان واليهود ونظريات داروين ودوركايم وفرويد وماركس وبروتوكولات حكماء صهيون.

إن الإسلام هو الذي يستطيع بتكامله وتوازنه وتبنّيه لكل مشاكل الوجود الروحي والمادي أن يقدم الحل لمشكلة تدهور الحضارة الغربية المعاصرة وينقذها مما تعانيه دون أن يتخلى عن انتصاراتها التكنولوجية التي أحرزتها، بل يحتضنها وينميها وفق قيمه الأخلاقية الروحية التي تضمن استمرارية الحضارة وسلام الإنسان في أعماقه وفي مجتمعه وفي عالمه وكونه. وذلك إذا استطاع الشرق الإسلامي أن يقدّم للغرب مثلا عملياً متطوراً لإمكانية الخلاص من مآسي الحضارة المعاصرة بإنقاذ الإنسان الشرقي المسلم من مأساة وجوده «المتمغرب» المريض، وحمل رسالته الحضارية إلى العالم الغربي الذي ينتظر الخلاص. وعند ذلك فقط يستطيع توينبي وكولن ولسون وجيورجيو وكاريل ورفاقهم أن يتفاءلوا ويشيروا إلى الشرق الإسلامي باعتباره مصدر الحضارة الجديدة....!

أهَمّ المَرَاجع

١- أبو الأعلى المودودي: **الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة**. دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠هـ .

٢- أبو الأعلى المودودي: **واجبات الشباب المسلم اليوم**. بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٨١ هـ.

٣- أبو الأعلى المودودي: **دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الإسلامي**. الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية. أمريكا.

٤- أبو الأعلى المودودي: **الإسلام ومعضلات الاقتصاد**. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٥- أسوالد اشبنغلر: **تدهور الحضارة الغربية**، ثلاثة أجزاء. ترجمة أحمد الشيباني. بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٤م.

٦- أنور الجندي: **الإسلام والغرب**. القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٧٦م.

٧- أنور الجندي: **نحن وحضارة الغرب**: القاهرة، دار الاعتصام ١٩٨١م.

٨- جلال العالم: **قادة الغرب يقولون، دمروا الإسلام.** عمان، دار الأرقم، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٩- جواد رفعت أتلخان: **الإسلام وبنو إسرائيل.** ترجمة يوسف وليشاه. الرياض. جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٤هـ.

١٠- أبو الحسن علي الحسني الندوي: **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.** الكويت، دار القلم، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١١- سيد قطب: **العدالة الإجتماعية في الإسلام.** بيروت، دار الشروق. الطبعة الثامنة، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م.

١٢- سيد قطب: **الإسلام ومشكلات الحضارة.** بيروت، دار الشروق، الطبعة الخامسة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٣- شوقي أبو خليل: **الإسلام في قفص الاتهام.** دمشق، دار الفكر، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

١٤- الدكتور شوقي ضيف: **الأدب العربي المعاصر في مصر.** القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٦١م.

١٥- الدكتور صلاح الدين المنجد: **التضليل الاشتراكي.** بيروت. دار الكتاب الجديد، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.

١٦- الدكتور عباس الجراري: **الفكر الإسلامي والاختيار الصعب**. الدار البيضاء (المغرب) دار الرشاد الحديثة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

١٧- عبد الغني أحمد ناجي: **الأمومة والطفولة في الإسلام**، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٧٩م.

١٨- عبد القادر عودة: **الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه**. بيروت، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ.

١٩- عبد القادر عودة: **المال والحكم في الإسلام**. الكويت، مكتبة الفلاح، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٠- عبد العظيم عبد العزيز سبيع: **حاضر العالم الإسلامي**. القاهرة، مكتبة السلام العالمية، ١٤٠١هـ، ١٩٨٠م.

٢١- عبد الله التل: **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام**. بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

٢٢- عبد الله التل: **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**. بيروت المكتب الإسبلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.

٢٣- عبد الله علي المحمود: **حقوق الإنسان بين الإسلام والمذاهب المعاصرة**. بيروت، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٤- الدكتور عماد الدين خليل: **تهافت العلمانية**. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٢٥- الدكتور عماد الدين خليل: **البعثات العلمية بين السلب والإيجاب**. دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٦- عمر عودة الخطيب: **المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية**. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٢٧- عمر عودة الخطيب: **لمحات في الثقافة الإسلامية**. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٢٨- فتحي يكن: **الشباب والتغيير**. بيروت. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٢٩- مارون عبود: **رواد النهضة الحديثة**. بيروت، دار الثقافة ، بدون تاريخ.

٣٠- محمد أسد (ليوبولدفايس): **الإسلام على مفترق الطرق**. بيروت، دار العلم للملايين، طبعة خاصة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٣١- الدكتور محمد البهي: **التربية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة**. القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م.

٣٢- محمد جلال كشك: **الغزو الفكري**. القاهرة، المختار الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٣٣- محمد خليفة التونسي: **الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون**. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٣٤- سيد قطب: **المستقبل لهذا الدين**. بيروت، دار الشروق، الطبعة السادسة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣٥- محمد قطب: **الإنسان بين المادية والإسلام**. بيروت، دار الشروق، الطبعة الثامنة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣٦- محمد قطب: **جاهلية القرن العشرين**. بيروت، دار الشروق، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٣٧- محمد قطب: **معركة التقاليد**. بيروت، دار الشروق، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٣٨- محمد قطب: **شبهات حول الإسلام**. الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٣٩- محمد محمود الصواف: **المخططات العالمية لمكافحة الإسلام**. الدمام، دار الإصلاح، ١٩٧٩م.

٤٠- محمد محمود الصواف: **أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب**. الدمام، دار الإصلاح، ١٩٨٢م.

٤١- محمد المبارك: **المجتمع الإسلامي المعاصر**. بيروت والقاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٤٢ محمد منير الغضبان: **من معين التربية الإسلامية**. دار الأرقم بالكويت، ومكتبة الحرمين بالرياض، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٤٣- الدكتور محمد ابراهيم نصر: **الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية**. الرياض، دار اللواء، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٤٤- منى حداد يكن: **أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام**. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٤٥- نجيب العقيقي: **المستشرقون**. ثلاثة أجزاء، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.

٤٦- يوسف العظم: **الإيمان وأثره في نهضة الشعوب**. جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ.

٤٧- الدكتور محمد محمد حسين: **الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر**. جزءان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.



المحتويات